

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام حسن البنا

(... حسن البنا كلما باعدت الأيام بيننا وبين يوم استشهاده ازدادت شخصيته وضوحا وإشراقا وإثارة نورا وبهاء .. إنه كاللوحه الفنية البديعة .. كلما ابتعدت عنها محمقا في روعتها كلما وضح أمام ناظريك رواؤها ودقة الإبداع فيها. وحقا ما مضى عام إلا ازداد تاريخ حسن البنا وضوحا في ميادين الدعوة الإسلامية وظهر ما أجراه الله من خير على يديه للإسلام والمسلمين ..).

عمر التلمساني

المحتويات

- مقدمة
- نبذة عن حياة الإمام الشهيد
- وضوح الطريق
- حسن البنا ... ومراحل دعوته
- آفاق الطريق ومراحله
- حسن البنا غني بالدعوة
- استطراد وعودة للجذور
- الرعييل الأمل ونماذج
- اتباع لا ابتداع
- حسن البنا حرارة العاطفة ورقة الشعور
- في العيد
- دموع
- لا تميز
- حسن البنا والأخ أحمد شوهان
- حسن البنا ومخبر المباحث العامة
- أدب
- نقاتل أعداءنا بالحب
- صراخ الأطفال
- في منزل الأستاذ مصطفى مشهور
- وداع
- مع سماحة مفتي فلسطين
- حسن البنا ورئيس وزراء سوريا
- المعلم إبراهيم كروم
- المبشر الإسلامي عليهم الله صديقي
- الشيخ محمد الأنصاري
- ذي طمرين آخر من الإخوان المسلمين
- حسن البنا يحافظ على جوهر الدعوة

- أتمدونن بجال؟
- الله غايتنا
- حسن البنا ... ود. أحمد الملط
- درس آخر في رشيد
- هؤلاء قالوا عن حسن البنا
- الإمام الشهيد يخاطب المسلمين
- أسس نهضة العرب والمسلمين (الطريق من هنا - دعائم النصر - وحدة إيمان - تجرد - عدة - أيها العرب إثبتوا للمحنة فإن النصر مع الصبر).
- تصحيح المفاهيم (في الدين - في السياسة - الحكومة الإسلامية - حقوق الأمة قبل الحاكم - في الاقتصاد).
- المرأة في القرآن الكريم - الإسلام والبيت.
- من فقه الدعوة (بين المنحة والحنة - نفوس ومبادئ ومشروعات - تصورات خاطئة).
- حسن البنا بأقلام مرشديننا
- استشهاد الإمام حسن البنا
- من أقوال الإمام الشهيد
- خاتمة

مقدمة

في 12 فبراير 1949م، إنطلقت يد آئمة لتطلق الرصاص على إمام الجيل الملهم الموهوب حسن البنا. وعادت الروح الزكية إلى بارئها، تاركة ورائها ثمار عملها وتوفيق الله لها ... دعوة ملأت الأسماع وأحيت القلوب والأبدان ... دعوة هي أمل المسلمين ومناطق رجائهم للخروج من النفق الذي طال، والعودة إلى الدين الذي غاب، باستمداها العون من صاحب الأمر سبحانه وتعالى.

ودعوة الإمام الشهيد كانت إرهابا ببدء عودة الإسلام من جديد، بعد أن ظن أعداؤه أنهم قد فرغوا وانتهوا منه في مارس 1924م، ليأتي مارس 1928م، فخيبت الآمال وأفشلت المخططات بإذن الله تعالى.

وفي مناسبة ذكرى استشهاد الإمام حسن البنا، يقدم المرء هذا الجهد المتواضع يتذكر فيه ويتذاكر به فضل الله علينا وعلى مثل أجيالنا، بهذه الدعوة المباركة وبهذه الكلمة الطيبة ذات الأصل الثابت والتي أتت وتوحي أكلها كل حين بإذن ربها .. تصحيحا للمفاهيم ... إشاعة للمظاهر الإسلامية .. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحد ... عودة جميلة إلى دين الله سبحانه وتعالى تحير العقول وتبهر الألباب، وغدا يتم الله فضله ويكتمل نصره فتسعد البشرية من بعد شقاء وتهنأ من بعد حيرة واضطراب.

وقد اقتصر الجهد في هذه الصفحات على تجميع بعض ما كتب عن الإمام الشهيد، وتبويبه وفقا للعناوين الواردة، إذ أن للمرء بالأهلية للكتابة عن شخصية إمامنا الشهيد ودعوتنا المباركة دعوة الحق والقوة والحرية، ولعل هذا سر عدم خروج هذا العمل باسم يحمله.

والله نسأل أن يتقبل فهو المتبغى وعليه التكلان ومنه نستمد العون، وندعوه سبحانه وتعالى أن يرزقنا الصبر والثبات.

والله أكبر والله الحمد.

نبذة عن حياة الإمام الشهيد

ولد الإمام حسن البنا بمدينة المحمودية بمحافظه البحيرة في مصر عام 1906 ميلادية. كان أبوه أحمد عبد الرحمن البنا من العلماء العاملين، اشتغل بعلوم السنة، وله عدة مصنفات في الحديث الشريف أهمها "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد". بدأ الاهتمام بالعمل الإسلامي المنظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الشهيد في سن مبكرة، فأنشأ مع زملائه في الدراسة "جمعية الأخلاق الدينية" ثم "جمعية منع المحرمات" واشترك في ثورة 1919 ميلادية في مصر وهو في الثانية عشرة من عمره. التحق الإمام حسن البنا بعد إتمام دراسته الابتدائية بدار المعلمين عام 1920 حيث أتم حفظ القرآن الكريم قبل إتمام الرابعة عشرة من عمره.

تخرج من دار العلوم عام 1927م، وكان ترتيبه الأول، وعيّن مدرسا ابتدائيا بمدينة الإسماعيلية على ضفاف قناة السويس، فانتقل إليها وبدأ فحما مدرسا في الدعوة، فكان يتصل بالناس في المقاهي ثم ينتقل بهم إلى المسجد باذلا جهده في تجاوز الخلافات التي كانت تسود المجتمع الإسلامي آنذاك واستطاع أن يرسي دعائم دعوة إسلامية متميزة حيث تعاهد مع ستة نفر من إخوانه على تشكيل أول نواة لجماعة الإخوان المسلمين، كان ذلك في شهر ذي القعدة 1347 هجرية مارس 1928 ميلادية.

في عام 1932 انتقل الإمام حسن البنا إلى القاهرة، وابتدأ عمله في دار المعلمين ثم انتقل إلى دار العلوم ثم إلى دار المعلمين في القاهرة. كان يقوم برحلات متتابعة إلى الأقاليم يصحب فيها إخوانه الجدد يربيه على خلق الدعوة ويؤهلهم للقيام بأعبائها، وكان يتابع عمله بدأب وتفان حتى غطت جماعة الإخوان المسلمين القطر المصري كله.

أصدر الإمام حسن البنا مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية، ثم مجلة "النذير" وعدد من الرسائل التي جمعت في كتاب "مجموعة الرسائل"، ولم يفرغ رحمة الله للكتابة والتأليف بل كان حل اهتمامه منصبا على التربية ونشر الدعوة، وعلى تكوين جماعة ما تزال رائدة البعث الإسلامي في العالم كله.

حرص الإمام حسن البنا على ألا تكون حركته إقليمية في حدود القطر المصري، بل كانت عالمية بعالمية الدعوة الإسلامية، لذلك وجدناها تمتد في الأربعينيات لتشمل العالم العربي كله، ولتنطلق بعد ذلك في أقطار العالم الإسلامي مركزا على الدعوة في كل مكان. وكان الإمام حسن البنا رحمه الله يرسل المبعوثين إلى أقطار العالم يتفقدون أحوال المسلمين وينقلون إلى القاهرة صورة عن واقع العالم الإسلامي. وكان المركز العام بالقاهرة ملتقى أحرار المسلمين في وقت كانت فيه معظم أقطار العالم الإسلامي رازحة تحت الاحتلال الأجنبي، فمن رجال حركات التحرير في شمال إفريقيا، إلى أحرار اليمن، إلى زعماء الهند وباكستان واندونيسيا وأفغانستان، إلى رجال السودان والصومال وسوريا والعراق وفلسطين.

كان الجهاد في سبيل الله عنصرا أساسيا ترتكز عليه دعوة الإخوان المسلمين. وكان للقضية الفلسطينية عناية خاصة لدى الإمام البنا، وكانت له نظرة ثاقبة في موضوع الخطر إلى هودي، وكان الإخوان المسلمون منذ بداية الثورة الفلسطينية عام 1936 هم دعاة التحذير والتحرير في العالم العربي. ولما دخلت الجيوش العربية فلسطين عام 1948، خاض الإخوان المسلمون الحرب في كتائب متطوعة عبر الجبهة الغربية من مصر، والشرقية من سوريا وأبلوا فيها أحسن البلاء.

بعد ذلك مباشرة صدرت الأوامر من الدول الغربية الكبرى للحكومة المصرية بحل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال رجالها العائدين من القتال، وذلك بعد النكبة وتوقيع الهدنة.

بعد هذه الاعتقالات، أبقى الإمام حسن البنا وحده خارج السجن، ليحري اغتياله من قبل زبانية فاروق في أحد شوارع القاهرة يوم 14 ربيع الثاني 1368 هجرية، 12 فبراير 1949 ميلادية.

وضوح الطريق

حين تقدم الطالب حسن البنا إلى لجنة الامتحان الشفهي في مدرسة دار العلوم سأله أحد الممتحنين: ماذا تحفظ من الشعر القديم؟ فأجاب: أحفظ المعلقات السبع.

قال الأستاذ الممتحن: أسمى معلقة طرفة بن العبد، فأخذ حسن البنا يقرأها في فصاحة وثبات، ولما تأكد الأستاذ الممتحن من جودة حفظه، قال له: على رسلك، أريدك أن تختار بيتا أعجبك من هذه القصيدة، فأطرق حسن البنا هنيهة، ثم قال: إذا القوم قالوا من الفتى حلت أني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد .. فما كان من الأستاذ الممتحن إلا أن رفع عمامته من فوق رأسه وهو يردد الله .. الله .. فالتفت إلى الممتحن الآخر وقال له: ماذا جرى يا مولانا؟ فأجاب، بأن هذا الفتى - يقصد حسن البنا - سيكون له شأن عظيم، وأعاد على سمعه بيت الشعر الذي أعجب البنا من القصيدة، فشاركه إعجابه وتفاؤله .. وما هي إلا سنوات قلائل حتى صدقت فراسة هذا الشيخ في حسن البنا إذ أصبح بالفعل أمل أمته الحيرى، ومرشدها وداعيتها إلى الإسلام.

عرف حسن البنا منذ صباه أن الجهل بالإسلام، وعدم إدراك حقيقة هذا الدين، وتلوث المحيط الاجتماعي فكريا وأخلاقيا هو الذي انتهى بأمته إلى الضياع والشروء، الأمر الذي يعود إلى ضعف التوجيه الديني السليم في حياة المسلمين، وإلى خضوعهم إلى توجيهات منحرفة ومتناقضة مع تعاليم الإسلام ومبادئه.

لقد كان حسن البنا هو ذلك الفتى الذي أحس منذ صباه بالفراغ الذي يعاني منه المسلمون، وهو عدم وجود قيادة مسلمة، وطلبة مؤمنة ترد المسلمين إلى الإسلام وتبصرهم بالطريق وتكفل جهودهم لاستئناف دورهم الحضاري كخير أمة أخرجت للناس. لقد أدرك حسن البنا تطلع قومه إلى استخلاصهم واستنقاذهم من الضياع فكان هو ذلك القائد والمرشد الذي توفرت له كل ملامح القيادة والإرشاد من وعي وإدراك وإحساس عميق بثقل التبعة وعظم المسؤولية، سجل الكثير منه في مذكراته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أنظر إلى وهو ينذر نفسه لتوجيه أمته وإرشادها في موضوع الإنشاء في امتحان التخرج من دار العلوم ... يقول رحمه الله: كان أستاذنا أحمد يوسف نجاتي جزاه الله خيرا مغرما بالموضوعات الدسمة بالإنشاء، وله معنا نكات ظريفة طريفة في هذه المعاني. ومن كلماته المأثورة، حين كان يمل من تصحيح هذه المطولات، أن يقول والكراسات على يده ينوء بحملها كما ناء طول الليل بتصحيحها: "خذوا يا مشايخ! وزعوا ما تزعمونه إنشاء. عليكم بالقصد يا قوم، فالبلاغة الإيجاز. والله إني لا أشير بالإنشاء ولا أذرع" .. ونضحك ونوزع الكراسات.

ومن الموضوعات التي أتحفنا بها بمناسبة آخر العام الدراسي، وكان بالنسبة لي ولرفيقي الامتحان النهائي 1927 ميلادية، هذا الموضوع: "إشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، وبين الوسائل التي تعدها لتحقيقها" .. وقد أحببت عنه بهذا الموضوع: "أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها في سعادة الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكروه عنهم، وتعد التضحية في سبيل الإصلاح العام ربما وغنيمة، والجهاد في الحق والهداية على توغر طريقهما، وما فيه من مصاعب ومتاعب راحة ولذة وتنفذ إلى أعماق القلوب فتشعر بأدوائها، وتتغلغل في مظاهر المجتمع، فتتعرف إلى ما يعكر على الناس صفاء عيشتهم ومسرة حياتهم، وما يزيد في هذا الصفاء، ويضعف تلك المسرة، لا يجدها إلى ذلك إلا شعور بالرحمة لبني الإنسان، وعطف عليهم، ورغبة شريفة في خيرهم، فتحاول أن تبرئ هذه القلوب المريضة، وتشرح تلك الصدور الحرجة، وتسرها هاته النفوس المنقبضة لا تحسب ساعة أسعد من تلك التي تنقذ فيه مخلوقا من الشقاء البدني أو المادي، وترشده إلى طريق الاستقامة والسعادة ..

وأعتقد أن العمل الذي لا يعدو نفعه صاحبه، ولا تتجاوز فائدته عامله، قاصر ضئيل، وخير الأعمال وأجلها ذلك الذي يتمتع بنتائجه العامل وغيره، من أسرته وأمته وبني جنسه، ويقدر بثمول هذا النفع يكون جلاله وخطره، وعلى هذه العقيدة سلكت سبيل المتعلمين، لأني أراهم نورا ساطعا يستنير به الجمع الكثير ويجري في هذا الجم الغفير، وإن كان نور الشمعة التي تضئ للناس باحتراقها .. وأعتقد أن أجل غاية يجب أن يرمى الإنسان إليها، وأعظم ربح يربح أن يحوز رضا الله عنه، فيدخله حظيرة قدسه، ويخلع عليه جلايبب أنسه، ويزحزحه عن جحيم عذابه، وعذاب غضبه. والذي يقصد إلى هذه الغاية يعترضه مفرق طريقين، لكل خواصه ومميزاته، يسلك أيهما شاء:

أولهما: طريق التصوف الصادق، الذي يتلخص في الإخلاص والعمل، وصرف القلب عن الاشتغال بالخلق خيرهم وشرهم. وهو أقرب وأسلم.

الثاني: طريق التعليم والإرشاد، الذي يجامع الأول في الإخلاص والعمل، ويفارقه في الاختلاط بالناس، ودرس أحوالهم، وغشيان مجامعهم ووصف العلاج الناجع لعلهم، وهذا أشرف عند الله وأعظم، ندب إلى القرآن العظيم، ونادى بفضله الرسول الكريم. وقد رجح الثاني بعد أن نهجت الأول لتعدد نفعه وعظيم فضله، ولأنه أوجب الطريقتين على المتعلم، وأجملهما لمن فقه شيئا وليندروا قومهم إذا رجعوا إلى هم لعلهم يحذرون.

وأعتقد أن قومي بحكم الأدوار السياسية التي اجتازوها، والمؤثرات الاجتماعية التي مرت بهم، وبتأثير المدنية الغربية، والشبه الأوروبية، والفلسفة المادية، والتقليد الأفرنجي بعدوا عن مقاصد دينهم، ومرامي كتابهم ونسوا مجد آبائهم، وآثار أسلافهم، والتبس عليهم هذا الدين الصحيح بما نسب إليه ظلما وجهلا، وسترت عنهم حقيقته الناصعة البيضاء، وتعالى مه الحقيقية السمحة، بحجب من الأوهام يحسر دونهما البصر، وتقف أمامها الفكر، فوقع العوام في ظلمة الجهالة، وتاه الشباب والمتعلمون في بيداء حيرة وشك، أورثا العقيدة فسادا وبدل الإيمان إلحادا!!

وأعتقد كذلك أن النفس الإنسانية محبة بطبعها، وأنه لا بد من جهة تصرف إلى ها عاطفة حبها، فلم أر أحدا أولى بعاطفة حيي من صديق امتزجت روحه بروحي، فأوليته محبتي، وآثرته بصدائقي.

كل ذلك أعتقده عقيدة تأصلت في نفسي جذوتها، وطالت فروعها، وإحضرت أوراقها، وما بقي إلا أن تثمر، فكان أعظم آملي بعد إتمام حياتي الدراسية أملان:

خاص: وهو إسعاد أسرتي وقرابتي، والوفاء لذلك الصديق المحبوب، ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وإلى أكبر حد تسمح به حالتي، ويقدرني الله عليه.

عام: وهو أن أكون مرشدا معلما، إذا قضيت في تعليم الأبناء سحابة النهار، ومعظم العام، قضيت ليالي في تعليم الآباء هدف دينهم، ومنايع سعادتهم، ومسرات حياتهم، تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، وثالثة بالتجول والسياسة.

وقد أعددت لتحقيق الأول معرفة بالجميل، وتقديرا للإحسان وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

ولتحقيق الثاني من الوسائل الخلقية: "الثبات والتضحية" وهما ألزم للمصلح من ظله، وسر نجاحه كله، وما تخلق بهما مصلح فأخفق إخفاقا يزري به أو يشينه، ومن الوسائل العملية: درسا طويلا، سأحاول أن تشهد لي به الأوراق الرسمية، وتعرفا بالذين يعتنقون هذا المبدأ، ويعطفون على أهلهم، وجسما تعود الخشونه على ضالته، وألف المشقة على نحافته، ونفسا بعثها لله صفقة رابحة، وتجارة بمشيئته منجية، راجيا منه قبولها، سائله إتمامها، ولكليهما عرفانا بالواجب وعونا من الله سبحانه وتعالى، أقرأه في قوله: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ذلك عهد بيني وبين ربي، أسجله على نفسي، وأشهد عليه أستاذي، في وحدة لا يؤثر فيها إلا الضمير، وليل لا يطلع عليه إلا اللطيف الخبير ومن أوفى بما عاهد عليه الله، فسيؤتيه أجرا عظيما".

هكذا كان حسن البناء يعرف ما يريد، ويعرف سبيله إلى ما يريد.

وذلك أنه من أخطر ما يؤثر في بناء شخصية الداعية هو وضوح طريقه، وشعوره بالثقة المطلقة بفكرته التي يدعو إليها بشكل يستطيع معه دخول معترك الصراع العقائدي الإنساني، وهو يحمل مبادئ واضحة محددة، يسهل عليه مقارنتها بغيرها من العقائد والمناهج في سرعة ويسر، ويتبين له من خلال تلك المقارنة الفرق الواضح بين فكرته وبين غيرها من الأفكار والمناهج، ويسهل عليه هذا الوضوح إيصال فكرته إلى عقل وقلب كل إنسان شريف، فيقنعه بأنما هي الخير المحض، والعلم الخالص، والحاجة الملحة.

بهذا التكوين الرباني تمكن حسن البناء وبخطوات الواثق المطمئن من تقديم إسلامه إلى مجتمعه المتخلف والإنسانية المعذبة، كحل جذري لما تعانيه من ضنك وآلام وعذاب .. أنظر إليه وهو يجيب عن سؤال وجهه إليه صحفي يطلب منه أن يوضح بنفسه عن شخصيته للناس، فقال رحمه الله "أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطيبة في ظل الإسلام الحنيف ... أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادى: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين .. هذا أنا فمن أنت؟!".

حسن البناء .. ومراحل دعوته

عدنا بعد حفل الشاي الذي أقامه الإخوان لرجال الفكر والجامعة بالإسكندرية في نادي حديقة (أنطونياس)، إلى دار شعبة الإخوان بمحرم بك وكانت فئة المستمعين هنا تختلف عن فئة المستمعين هناك في حفل الشاي، فاختلف أسلوب الدعوة والداعية .. في هذه المرة أخذ فضيلة المرشد يشرح دعوته ومراحلها مستعملا أسلوب التشبيه وضرب الأمثال، هذا الأسلوب الذي يجيء في القرآن الكريم لزيادة الإيضاح والبيان ..

ذكر فضيلته، أن وزيرا حدثه فقال: أنت يا فضيلة المرشد مثلك في هذه الدعوة كرجل ورث مع أهله قصرا فخما كبيرا مضى عليه أكثر من ألف عام، وهذا القصر بدأ يتهدم وأصبح آيلا للسقوط .. فرأيت أن تجمع ورثة هذا القصر جميعا وتشاورهم في أمر إعادة هذا القصر إلى بهائه وروعته، وإدراكه بالإصلاح والترميم قبل أن يسقط ... ولكن الجميع رفضوا ذلك، بعضهم إحتج بأن القصر لا فائدة من محاولات إنقاذه فقد استهلك وأدى دوره وانتهى زمانه، وأن إصلاحه عبث لا طائل من ورائه، وبعضهم إعتذر بشيخوخته وكبر سنه وضعف وخور قواه ووهن عزيمته حتى أنه لم يعد له أمل في الحياة، وبعضهم رأى أن هذا العمل يحتاج إلى إمكانيات مالية فتعلل بضيق ذات يده .. وهكذا تحلى الجميع عن مسئولياتهم نحو قصرهم وإعادة مجده.

ومضى فضيلته في سرد القصة ..

وحدث الرجل نفسه: لقد كنت مقدرًا لو تعاون معي الورثة تعاونًا وثيقًا، فإنه بالإمكان أن نختصر الوقت في إصلاح القصر حتى يتم ذلك فيما لا يزيد عن عشرين عامًا، فلما رفض الورثة التعاون معي رأيت أن لا أتخلى عن واجب الوفاء لإنقاذ قصرنا التليد وإعادةه إلى شموحه، وقلت في نفسي المهم هو الوصول إلى الإصلاح طال الزمن أم قصر، وتوكلت على الله ومضيت في العمل مستعينا بحوله وقوته، وأحطت القصر بسور عال كما يفعل في تجديد العمارات الآيلة للسقوط في المدن الكبيرة، وحجبت القصر عن الأعين تماما .. وأخذت أحوب الكفور والقرى والمدن، مدينة مدينة وقرية قرية وكفرا كفرا، أثير الهمم وأشحد العزائم وأبني لبنة لبنة، حتى إذا اكتمل القصر واطمأنتت إلى قوة بنيانه وأزحت عنه الحجب ورفعت عنه السور الذي أخفاه عن الأعين .. وفوجئ الناس بالقصر شامخًا قويًا جديدًا، ودهشوا متى وكيف تم ذلك؟! ثم أشاعوا من أين المال، ومن أين الرجال؟! ..

شبه الإمام الشهيد الدعوة يوم قيامه بها بقصر متداعٍ إنصرف عنه ورثته وتخلوا عن عبء القيام بإصلاحه وإعادة مجده، فحمل وحده مسئولية إقامة القصر من جديد ..

وأشار فضيلته إلى مراحل دعوته التي بدأها باتصالات ومحاولات لحفز همم رجالات الأمة وهيئاتها للعمل على إعادة كيان الأمة الإسلامية واستئناف دورها الحضاري، ولكن كانت نتيجة هذه الجهود هي التعللات والمعاذير التي وردت في القصة، ويمكن الرجوع إلى حقيقة هذه الاتصالات في الفترة التي قضاها بالقاهرة طالبًا بكلية دار العلوم والتي كتب عنها في كتابه "مذكرات الدعوة والداعية".

لقد نشأت دعوة الإخوان المسلمون في نهاية العشرينيات وتبلورت أهدافها أول ما تبلورت في نفس الإمام حسن البناء، وقد أجمع الذين عاصروه والذين كتبوا عنه من معارضيه ومؤيديه، أنه كان داعيًا متمكنًا من دعوته، فاهمًا لمضمونها الاجتماعي والحركي، مدركا لما يحيط بها وما ستواجهه من أخطار، وما يجب عليه أن يحققه من أهداف.

وإيمان الداعية بدعوته وتمكنه منها أول بوادر النجاح والنصر لها، لهذا حرص الإمام البناء من أول يوم في دعوته، أن يحدد الأسس العقائدية والحركية لها تحديدا واضحا، لا لبس فيه ولا غموض، ولكن التكتيك الحركي إقتضاه أن لا يكشف عن مراحل دعوته، ومعالم طريقها ووسائلها جملة واحدة، فيلفت إليه أنظار الأعداء المتربصين بما فيضربونها قبل أن تشتد عودها ويكثر أتباعها، ولهذا كانت خطط الدعوة واضحة بالنسبة للإمام البناء وضوح الشمس في رابعة النهار، كما كانت مراحلها محددة ومتكاملة في نفسه، إلا أنه لم يكن يفصح عنها إلا لخاصة الإخوان بين الفينة والأخرى، أما بقية الناس فكانوا لا يعرفون عن أهداف الدعوة ووسائلها إلا الأهداف والوسائل المرحلية الآنية التي كان يعلنها في أحاديثه وخطبه للناس كافة.

إنجحه الإمام البناء إلى عامة الناس، فاتصل بهم عن طريق المساجد والندوات والمقاهي على طول القطر من إسوان إلى الإسكندرية في خلال عشر سنوات طوال، لم يدع مدينة أو قرية إلا ونزل بها واتصل بأهلها مبلغا دعوته، عاملا على بناء الجماعة قوية شامخة.

وهذه هي المرحلة الأولى التي أوفت على غايتها ثم جاءت بعدها مرحلة جديدة بعد عشر سنوات قضاهما في بناء جيل من الشباب وإعداده بالتربية الصالحة والتنظيم النافع بعيدا عن الدعاية.

والحقيقة أن هذه الدعوة بقيت مجهولة للأعداء، إذ كانوا يعدونها واحدة من الطرق الصوفية أو جمعية دينية تقليدية من الجمعيات التي كانت منتشرة في مصر آنذاك، والتي لا يتعدى نشاطها الميدان الاجتماعي، حتى إستصدر الإخوان رخصة بمجلة (الأنذير) سياسية أسبوعية، التي صدر العدد الأول منها في مايو 1938م، وقد ظهر منها واضحا اتجاه الإخوان الوطني وإبتداء اشتراكهم في الكفاح السياسي في الداخل والخارج.

آفاق الطريق ومراحله

لقد كان حسن البنا منذ الصبا صادقا مع ربه، فكان بفضل الله تعالى عليه يعرف ما يريد، ويعرف سبيله إلى ما يريد .. وقد أحمل رحمه الله ما يريد في أكثر من مكان من رسائله، وكل ما ذكره فضيلته هو مما يفترض على كل مسلم أن يعمل له بقدر إستطاعته، وهو ما لخصه في رسالة التعاليم في ركن "العمل" أحد أركان البيعة في دعوة الإخوان المسلمين.

يقول رضي الله عنه: "وأريد بالعمل: ثمرة العلم والإخلاص (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)، ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق:

إصلاح نفسه: حتى يكون قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادرا على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهدا لنفسه، حريصا على وقته، منظما في شئونه، نافعا لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدته.

وتكوين بيت مسلم: بأن يحمل أهله على إحترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن إختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام، وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك. **وإرشاد المجتمع:** بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخيرات، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بما دائما، وذلك واجب كل أخ على حدته، وواجب الجماعة كهيئة عاملة.

وتحرير الوطن: بتخليصه من كل سلطان أجنبي غير إسلامي سياسي أو اقتصادي أو روجي. **وإصلاح الحكومة:** حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدي مهمتها كخدام للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها، والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه. ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة، ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع، ما دام موافقا للقواعد العامة في نظام الحكم الإسلامي.

ومن صفتها: الشعور بالتبعية، والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والإقتصاد فيه. ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع الهامة، وتنمية الثروة وحراسة المال، وتقوية الأخلاق، ونشر الدعوة.

ومن حقها - متى أدت واجباتها -: الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس والمال .. فإذا قصرت: فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية: بنشر دعوة الإسلام في ربوعه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وبأي الله إلا أن يتم نوره.

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضوا في الجماعة. وما أثقلها من تبعات، وما أعظمها مهمات، يراها الناس خيالا، ويراها الأخ المسلم حقيقة. ولن نياس أبدا. ولنا في الله أعظم الأمل. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الداعية حسن البنا .. غني بالدعوة

حين ضاقت دار المركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية الجديدة بالقاهرة بشتى ألوان النشاط .. فكر الإخوان في شراء دار أخرى فسيحة تساعد على استيعاب النشاط العام للجماعة. وفي أثناء ذلك لفتت أنظار الإخوان فيلا كبيرة تقابل دار المركز العام، يحيط بها فناء فسيح في نفس الميدان، فعرضوا أمر شرائها على فضيلة المرشد، فأوفدهم ليتفاهموا مع أصحابها .. فوافق أصحاب الفيلا على بيعها في حدود عشرة آلاف جنيه، ولم يكن في صندوق الإخوان سوى خمسمائة جنيه فقط، فكتب الأستاذ المرشد العقد الابتدائي بهذا المبلغ. وأشفق مكتب الإرشاد أن لا يستطيع الإخوان سداد باقي الثمن فضلا عن تكاليف إصلاحها وتأثيرها، كما توجس المكتب خيفة من أن يتهم أعداء الإسلام بأن الإخوان المسلمين تأتيهم أموال من الخارج، ولا بد أن نعرف كيف يكون التصرف من الآن في مبلغ لا يقل عن خمسة عشر ألف جنيه.

وطمأنهم فضيلة المرشد قائلاً: إنني سوف أعلن في مجلة "الإخوان" عن شراء دار للجماعة وسوف ننشر الصورة الفوتوغرافية للدار مع الإعلان، وأطلب من الإخوان التبرع، وأتعشم أن يسددوا بقية الثمن في الشهر الأول أو الشهر الثاني أو الثالث .. سأترك للإخوان فرصة حتى آخر ديسمبر 1944م لتمويل المشروع، فإذا لم يستطع الإخوان الوفاء بالقيمة المطلوبة كلها قبل الموعد النهائي، فإني أحفظ من الإخوان أكثر من عشرين ألفاً، وسوف أرسل لكل أخ منهم خطاباً بالبريد أطلبه أن يساهم في شراء الدار بمبلغ جنيه واحد، وأعتقد أن ذلك هو أضعف الإيمان .. فسكت الإخوة أعضاء مكتب الإرشاد بعد هذا الإيضاح.

وللحق والتاريخ فقد كان الإخوان على مستوى حسن الظن بإيمانهم ووفائهم، فلم يمض شهر واحد حتى توفر للإخوان المبلغ المطلوب ويزيد عن ذلك تلك الهبات العينية من عقود أراضي وأملاك أرسل بها الإخوان من كل مكان في العالم الإسلامي لتكون تحت تصرف الجماعة .. هذا وإني لأذكر بالفخر والإعجاب الأخوات المسلمات حيث تطوعن بالحلي الذهبية .. وقد أُنقذ على عدم التصرف في هذه التبرعات العينية ووضعها في خزانة الجماعة ليراها زوارنا ولتكون دليلاً على المثل العليا التي انبعثت من نفوس المؤمنين بفضل عظمة هذه الدعوة ونبل أبنائها.

وفي حديث مجلة (مسامرات الجيب) مع فضيلة المرشد، سأل مندوب المجلة فضيلته، فقال: هل أنت غني؟ وكان جوابه رضي الله عنه: نعم أنا غني بهذه القلوب المؤمنة التي تحابت معي في الله. فقال مندوب المجلة: أفصد الناحية المادية .. فقال فضيلته: نعم غني والحمد لله .. فكل أموال الإخوان التي في جيوبهم ملك للدعوة.

استطراد ... وعودة للجدور

في ذي القعدة سنة 1347هـ، مارس 1928م، فيما أذكر زارني في المنزل أولئك الإخوة الستة: حافظ عبد الحميد، أحمد الحصري، فؤاد إبراهيم، عبد الرحمن حسب الله، إسماعيل عز، زكي المغربي، وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التي كنت ألقاها، وجلسوا يتحدثون إلي وفي صوتهم قوة، وفي عيونهم بريق، وعلى وجوههم سنا الإيمان والعزم، قالوا: "لقد سمعنا ووعينا، وتأثرنا ولا ندري ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام وخير المسلمين، ولقد سئمتنا هذه الحياة: حياة الذل والقيود، وهأنت ترى أن العرب والمسلمين في هذا البلد لا حظ لهم من منزلة أو كرامة وأهم لا يعدون مرتبة الأجراء التابعين لهؤلاء الأحناب. ونحن لا نملك إلا هذه الدماء تجري حارة بالعزة في عروقنا، وهذه الأرواح تسري مشرقة بالإيمان والكرامة مع أنفسنا، وهذه الدراهم القليلة من قوت أبنائنا، ولا نستطيع أن ندرك الطريق إلى العمل كما ندرك، أو نتعرف السبيل إلى خدمة الوطن والدين والأمة كما نعرف، وكل الذي نريده الآن أن نقدم لك ما نملك لنبرأ من التبعية بين يدي الله، وتكون أنت المسئول بين يديه عنا وعمما يجب أن نعمل، وأن جماعة تعاهد الله مخلصه على أن تحيا لدينه، وتموت في سبيله، لا تبغي بذلك إلا وجهه، لجديرة أن تنتصر، وإن قل عددها، وضعفت عدتها".

كان لهذا القول المخلص أثره البالغ في نفسي، ولم أستطع أن أتصل من حمل ما حملت، وهو ما أدعو إليه وأعمل له، وما أحاول جمع الناس عليه، فقلت لهم في تأثر عميق: "شكر الله لكم وبارك هذه النية الصالحة، ووقفنا إلى عمل صالح، يرضي الله وينفع الناس، وعلينا العمل وعلى الله النجاح. فلنباع الله على أن نكون لدعوة الإسلام جندا وفيها حياة الوطن وعزة الأمة".

وكانت بيعة ... وكان قسما أن نحيا إخوانا نعمل للإسلام ونجاهد في سبيله.

وقال قائلهم: بما نسمي أنفسنا؟ وهل نكون جمعية أو ناديا، أو طريقة أو نقابة، حتى نأخذ الشكل الرسمي؟ فقلت: لا هذا، ولا ذاك، دعونا من الشكليات ومن الرسميات، وليكن أول اجتماعنا وأساسه: الفكرة والمعنويات والعمليات، نحن إخوة في الإسلام، فنحن إذن "الإخوان المسلمون".

وجاءت بغتة ... وذهبت مثلا ... وولدت أول تشكيلة للإخوان المسلمين من هؤلاء الستة: حول هذه الفكرة، وعلى هذه الصورة وبهذه التسمية.

الرعيل الأول ... ونماذج

أذكر أنني دخلت على الأخ السيد أبو السعود رحمه الله تاجر الخردوات، فرأيت الأخ مصطفى يوسف يشتري منه زجاجة ريحة والمشتري يريد أن يدفع عشرة قروش والبائع يأبي أن يأخذ أكثر من ثمانية قروش، وكلاهما لا يريد أن يتزحزح عن موقفه. كان لهذا المنظر أعمق الأثر في نفسي، وتدخلت في الأمر، فطلبت فاتورة الشراء فوجدت أن الثمن الأساسي الذي اشترى به الأخ سعيد سيد أبو السعود رحمه الله هو الذي يريد أن يبيع به لأخيه "الدستة بستة وتسعين قرشا".

فقلت له: يا أخي. إذا كنت لا تكسب من صديقك ولا يشتري منك عدوك فمن أين تعيش؟ فقال: لا فارق بيبي وبين أخي، ويسرني أن يتقبل مني هذا، فقلت للأخ مصطفى: ولماذا لا تتقبل رفاً أخيك؟ فقال: إذا كنت أشتريها من الخارج بهذه العشرة فأخي أولى بهذه الزيادة، ولو عرفت أنه يقبل أكثر منها لزدت، وبالتدخل انتهينا إلى تسعة قروش.

ليس الشأن شأن قرش أو قرشين، ولكنه شأن هذا المعنى النفساني الذي لو انتشر في الناس واستشعروه واستولى على أنفسهم لانحلت المشكلة الفردية والاجتماعية والعالمية، ولعاش الناس سعداء آمنين.

علم هؤلاء الإخوان أن أحد إخوانهم متعطل عن العمل، فجاء أكثر من عشرة منهم كل واحد يهمس في أذنه على انفراد يعرض كل مدخر من مال ليكون رأس مال يعمل فيه أخوه المتعطل واكتفيت ببعضهم وشكرت الآخرين، فانصرفوا وهم آسفون لما فاتهم من فضل المساعدة.

وآخر

إستدعى المسيو "سولنت" باشمهندس القنال ورئيس قسم السكسيون، الأخ حافظ ليصلح له بعض أدوات النجارة في منزله وسأله عما يطلب من أجر فقال (130 قرشا). فقال المسيو سولنت بالعربي: "أنت حرامي". فتمالك الأخ نفسه وقال له بكل هدوء: ولماذا؟ فقال: لأنك تأخذ أكثر من حقاك. فقال له: لن آخذ منك شيئا، ومع ذلك فإنك تستطيع أن تسأل أحد المهندسين من رؤوسيك، فإن رأى أنني طلبت أكثر من القدر المناسب فإن عقوبي أن أقوم بالعمل مجانا، وإن رأى أنني طلبت أقل مما يصح أن أطلب، فأسمحك في الزيادة.

واستدعى الرجل فعلا مهندسا وسأله فقدر أن العمل يستوجب 200 قرشا، فعرفه المسيو سولنت وأمر الأخ حافظ أن يتدنى العمل. فقال له: سأفعل ولكنك أهنتني فعليك أن تعتذر لي وأن تسحب كلمتك. فاستشاط الرجل غضبا وغلبيه الطابع الفرنسي الحاد، وأخذته العزة بالإثم، وقال: تريد أن أعتذر لك ومن أنت؟! لو كان الملك فؤاد نفسه ما اعتذرت له. فقال حافظ في هدوء أيضا: وهذه غلطة أخرى يا مسيو سولنت فأنت في بلد الملك فؤاد وإن كان أدب الضيافة وعرفان الجميل يفرضان عليك ألا تقول مثل هذا الكلام وأنا لا أسمح لك أن تذكره إلا بكل أدب واحترام .. فتركه وأخذ يمشي في البهو الفسيح ويده في جيب بنطلونه، ووضع حافظ عدته وجلس على كرسي واتكأ على منضدة، وسادت فترة سكوت لا يتخللها إلا وقع أقدام المسيو الثائر الحائر وبعد قليل تقدم من حافظ وقال له: إفرض أنني لم أعتذر لك فماذا تفعل؟ فقال: الأمر هين، سأكتب تقريرا إلى قنصلكم هنا وإلى سفارتكم أولا ثم إلى مجلس إدارة قناة السويس بباريس ثم الجرائد الفرنسية

المحلية والأجنبية ثم أترقب كل قادم من أعضاء هذا المجلس فاشكوك إليه، فإذا لم أصل إلى حقي بعد ذلك استطعت أن أهينك في الشارع وعلى مالأ من الناس وأكون بذلك قد وصلت إلى ما أريد، ولا تنتظر أن أشكوك إلى الحكومة المصرية التي قيدها بسلاسل الإمتيازات الأجنبية الظالمة ولكنني لن أهدأ حتى أصل إلى حقي بأي طريق. فقال الرجل: يظهر أنني أتكلم مع "أفوكاتو لا نجار"، ألا تعلم أنني كبير المهندسين في قناة السويس فكيف تتصور أن أعتذر لك؟ فقال حافظ: وألا تعلم أن قناة السويس في وطني لا في وطنك وأن مدة إستيلائكم عليها مؤقتة وستنتهي ثم تعود إلينا فتكون أنت وأمثالك موظفين عندنا، فكيف تتصور أن أدع حقي لك؟ وانصرف الرجل إلى مشيته الأولى.

وبعد فترة عاد مرة ثانية وعلى وجهه أمارات التأثر، وطرق المنضدة بيده في عنف مرات وهو يقول: أعتذر يا حافظ سحبت كلمتي. فقام الأخ حافظ بكل هدوء وقال: متشكر يا مسيو سولنت. وزاول عمله حتى أمته.

وبعد الإنتهاء، أعطاه المسيو سولنت مائة وخمسين قرشا، فأخذ منها مائة وثلاثين ورد له العشرين. فقال له خذها "بقشيشا" فقال: لا. لا. حتى لا آخذ أكثر من حقي فأكون "حرامي". فدهش الرجل وقال: إني مستغرب لماذا لا يكون كل الصناع أولاد العرب مثلك؟ أنت "فاميلي محمد"، فقال حافظ: يا مسيو سولنت كل المسلمين "فاميلي محمد"، ولكن الكثير منهم عاشروا الخواجات وقلدهم ففسدت أخلاقهم. فلم يرد الرجل بأكثر من أن مد يده مصافحا قاتلا: متشكر. متشكر. كتر خيرك. وفيها الإذن بالإنصراف.

ونموذج ثالث

لاحظت أن الأخ الأسطى علي أبو العلا قد صار يتأخر نحواً من نصف الساعة عن موعد اجتماعنا الليلي المحدد، فسألته عن السبب، فاعتذر ببعض الأعذار التي لا تستوجب ذلك. وبالبحث علمت وعلم الإخوان أنه قد خصه في اكتتاب دار الإخوان الأولى في الإسماعيلية مبلغ 150 قرشا، ولما لم يكن عنده هذا المبلغ، فإنه قد إضطر أن يبيع عجلته ويعود من عمله في نمرة 6 التي تبعد عن البلد 6 كيلومترات ماشيا، ودفعت ثمنها مساهمة منه في اكتتاب دار الإخوان.

وقد أكبر الاخوان في أحيهم هذا الصنيع، فاكتبوا له في شراء عجلة جديدة قدموها هدية إليه تقديرا لبذله الكريم وشعوره النبيل. هكذا كان أولئك الإخوان. وحوادثهم في هذه المعاني كثيرة، ومن أجل ذلك بارك الله الدعوة التي استنارت بها مثل هذه القلوب، وصدق الله العظيم: (ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون).

من أين المال؟

يتساءل هؤلاء الإخوان المحبوبون الذين يرمقون الإخوان المسلمين على بعد ويرقبوهم عن كتب قائلين: من أين ينفقون؟ وأنى لهم المال اللازم لدعوة نجحت وازدهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس شحيحة؟

وإني أجب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال، والعقيدة قبل الأعراض الزائلة، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعا. وإن في مال الإخوان المسلمين القليل الذي يقتطعونه من نفقاتهم ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم، ويجودون به طيبة نفوسهم سخية به قلوبهم، يود أحدهم لو كان له أضعاف أضعاف فينفقه في سبيل الله، فإذا لم يجد بعضهم شيئا تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون. في هذا المال القليل والإيمان الكبير والله الحمد والعزة، بلاغ لقوم عابدين ونجاح للعاملين الصادقين، وإن الله الذي بيده كل شئ ليبارك في القرش الواحد من قروش الإخوان .. يحقق الله الربا ويربي الصدقات.

الإمام حسن البنا

إتباع لا ابتداع

مدرسة التهذيب

ثم تشاورنا في مكان الاجتماع وما نعمل فيه، واتفقنا أخيرا على أن نستأجر حجرة متواضعة في شارع فاروق في مكتب الشيخ علي الشريف بمبلغ 60 قرشا في الشهر، نضع فيها أدواتنا الخاصة ونجتمع فيها إجتماعاتنا الخاصة، على أن يكون لنا حق الانتفاع بأدوات المكتب بعد انصراف التلاميذ ابتداء من العصر إلى الليل، ويسمى هذا المكان "مدرسة التهذيب" للإخوان المسلمين، ويكون منهجنا دراسة إسلامية

قوامها تصحيح تلاوة القرآن الكريم بحيث يتلوه الأخ المنتسب إلى هذه المدرسة وبالتالي إلى الدعوة وفق أحكام التجويد، ثم محاولة حفظ آيات وسور مع شرح هذه الآيات والسور وتفسيرها تفسيراً مناسباً، ثم حفظ بعض الأحاديث وشرحها كذلك، وتصحيح العقائد والعبادات وتعرف أسرار التشريع وآداب الإسلام العامة، ودراسة التاريخ الإسلامي وسيرة السلف الصالح والسيرة النبوية بصورة مبسطة تهدف إلى النواحي العملية والروحية، وتدريب القادرين على الخطابة والدعوة تدريجياً علمياً بحفظ ما يستطيع من النظم والنثر ومادة الدعوة، وعملياً بتكليفهم التدريس والمحاضرة في هذا المحيط أولاً، ثم في أوسع منه بعد ذلك.

حول هذا المنهج تربت المجموعة الأولى من الإخوان المسلمين الذين بلغوا في نهاية العام الدراسي: "1927-1928" سبعين أو أكثر قليلاً، ولم يكن هذا المنهج التعليمي هو كل شيء.

فقد كانت معاني التربية العملية التي تتفاعل في أنفسهم بالمخالطة والتصرفات الواقعية والود والمحبة فيما بينهم، والتعاون الكامل في شئون حياتهم، وتميؤ نفوسهم لما في ذلك من خير أقوى العوامل في تكوين هذه الجماعة.

إنهى الاستطراد الذي تم نقله من كتاب "مذكرات الدعوة والداعية".

حسن البناء .. وحرارة العاطفة ورقة الشعور

في العيد

بعد أن أدى الأستاذ المرشد صلاة العيد توجه إلى دار المركز العام القديم بالحلمية الجديدة، وتوافد الإخوان لتهنئته فضيلته بالعيد، وجلست في زاوية من الحجرة الفسيحة أرقبه .. فكان رحمه الله يستقبل كل أخ مسلماً عليه بإسمة أو بكنيته بجملة وابتساماً مشرقة، ثم يشير إليه ليجلس، ثم يتابعه بالسؤال عن صحته والاستفسار عن أحواله الشخصية التي كان يعرف الكثير منها حيث كان موضع ثقة الإخوان ومشورتهم. ودخل عليه أحد الإخوان فسلم عليه وهناك بالعيد ثم قال له: لعل الأمر قد انتهى بخير والأخ الطيب قد وفقه الله، فقال الأخ: ببركة دعواتكم يا فضيلة المرشد .. وكانت هذه الكلمات مدعاة ليسأل بعض الإخوة أحوالهم هذا عن الموضوع وهي مشاركة أخوية واجبة تفرضها آداب الإسلام وأخلاقه، فتبسم قائلاً: الموضوع أن فضيلة المرشد كان عندنا في البلد وكانت عندي جاموسة متعسرة في الولادة، فلما علم بذلك نصحني بإحضار طبيب لإنقاذها.

دموع

كتب أحد الإخوان يصف رقة قلب الإمام وحساسيته الشديدة وعواطفه الجياشة، يقول: دخلت عليه فقابلني بالبشر والترحاب، وقال: ستسافر بمشيئة الله يوم الثلاثاء إلى السودان .. فقلت على الفور: أمر مطاع يا فضيلة المرشد .. وأردت أن أنصرف، ثم التفت إليه فجأة وقلت: ولكن يا فضيلة الأستاذ؟! قال رحمه الله: ولكن ماذا؟ قلت: إن لي مشاكل كثيرة وشكاوي وفيرة، أود أن أتحدث إليكم فيها بعضها عام وبعضها خاص، فقال: هون عليك، وكُل أمرك إلى الله .. قلت: ولكني أود أن تعرف .. فقال: إنني أعرف .. قلت: إذن أنا أسعد ما أكون، ما دمت تعرف .. ولكنه استبقي وأخذ يتحدث عن مشاكلي وشكاواي يتحدث هو بنفسه لنفسه .. عجبت كل العجب، لأنه أحاط بدقائق نفسي ودخائل حسي، بل إن هناك مسائل كانت في باطن الشعور، هو الذي ذكرني بها .. وما إن انتهى من حديثه، حتى قلت: والله يا فضيلة الأستاذ، إني سعيد كل السعادة ولا أشكو من شيء أبداً .. قلت ذلك وصوتي متهدج ودموعي منهمة وأحاسيسي متدفقة، ثم هجمت عليه، وكان واقفاً لا شيء على رأسه .. هجمت عليه واحتضنته بين ذراعي في شدة وعنف وأخذت أقبل رأسه .. واستمر هذا الموقف فترة من الزمن، وهو صامت مستسلم، ولم أتركه إلا حيث دخل علينا الأخ الأستاذ سعد الوليلي، وإذا بالأستاذ يبكي لبكائي وعيناه مليتان بالدموع.

وكثيراً ما كان هذا البطل القوي يبكي بدموع غزار، وإني لأذكر في ذلك اليوم أن استلم وهو بدار "الشهاب" برقية من والد أحد الشهداء في فلسطين رداً على برقية من فضيلة الأستاذ له، وكانت برقية والد الشهيد برقية مؤثرة فيها تضحية وفدائية واستبسال .. بكى الأستاذ كثيراً، وبكى الحاضرون، وكانت لحظات من الحساسية المرهفة والشعور العميق!.

ومع قصة دموع هذا القائد العظيم يروي أحد الإخوان هذا المشهد، فيقول: عرضت على فضيلة المرشد ذات يوم خطابا من أحد الإخوان، وكان بين عدة خطابات وأوراق قدمتها إليه، وغفلت لحظة أنظر إلى من بالغرفة، وإذا بي أرى دمعات كبيرة تتساقط على الخطاب .. ودهشت، ولقد كنت قرأت الخطاب قبل ذلك، ولكنه لم يثر في نفسي ما أثاره في نفس هذا الرجل.

كنت أعرف أن المرسل بعث بمبلغ أربعة جنيهات للجماعة، فماذا في هذا من عجب، في الوقت الذي كانت هناك مئات الجنيهات تتقاطر علينا!! ولكنه هو القائد قد أثاره ما لم يثرني ... كتب الأخ صاحب الرسالة يقول: إكتتب كثيرون في أسهم جريدة "الإخوان"، ثم تنازلوا عنها عندما ناديت فضيلتكم بأن يتنازلوا عنها .. ولما كنت راغبا في أن أشارك في هذه التضحية، ولم يكن لي شرف المساهمة لضيق ذات يدي، فقد أرسلت لكم نصف مرتبي الشهري وهو قيمة ثمن سهم أتنازل عنه.

وقال الإمام الشهيد معلقا: يمثل هؤلاء وبهذه النقود القليلة تنتصر الدعوة.

لا تميز

... وجاءنا الأستاذ المرشد في زيارة بالإسكندرية في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك، وكان معه وفد من إخوان السودان، وبعد أن حضروا مؤتمرا في حي باكوس، عاد الأستاذ إلى دار المكتب الإداري قبيل منتصف الليل، وأوصاني أن أوقظه قبيل الفجر لتناول السحور ولم ينم إلا بعد فترة طويلة قضاها في حجرته يصلي القيام.

وحضرت مجموعة من الإخوان لتصلي مع فضيلته الفجر وتتناول معه السحور، وأحضرت له طعاما فاخرا، فلما اجتمع الإخوان على الطعام، قال لي: هل كل الإخوان سيأكلون معي مثل طعامي هذا؟ فقلت له: كل واحد حضر ومعه طعامه، فقال: سأكل من طعامهم، ورفض الطعام الفاخر فوزعناه على الإخوان.

ولما دخلنا مسجد الدار وجد الأحذية خارج المصلى بدون تنظيم، فقال مداعبا: ألستم في أسر؟ قلنا: بلى، فقال: فلماذا لم تجعلوا أحذيتكم على شكل أسر؟

وبعد الصلاة تلونا المأثورات، وعند شروق الشمس حضر الأستاذ المستشار منير الدلة رحمه الله بسيارته، فقد كان على موعد مع فضيلته للعودة إلى القاهرة، وعند باب المنزل وقبل أن يركب السيارة سألني عن بواب العمارة، فقلت: إنه نائم، فأعطاني له صدقة وأوصاني أن أبلغه السلام.

حسن البنا والأخ أحمد شوهان

حضر إخوان مدينة أبو كبير شرقية مؤتمر الإخوان المسلمون في مدينة الرقازيق الذي يتحدث فيه فضيلة المرشد العام حسن البنا .. وهناك إلتقى الأستاذ البنا بالإخوان وتعرف عليهم كل بإسمه وعمله.

وبعد أكثر من عامين زار الأستاذ البنا مدينة أبو كبير، وعند لقائه بالإخوان فوجئ الأخ أحمد محمد شوهان بأن فضيلته يسلم عليه باسمه .. وتعجب الأخ أحمد وهو يعمل نجارا بسيطا، كيف تكون له هذه المنزلة في نفس الأستاذ البنا، وظل يباهي بها إخوانه!

وهكذا كان الإمام البنا يعطي كل أخ حقه من التقدير دون النظر إلى طبقته الاجتماعية، فالجميع إخوان مسلمون ولا تدري في أي منهم يكون الخير والأمل المنشود.

حسن البنا ومخبر المباحث العامة

كان ذلك في عام 1937م، حيث اتخذ الإخوان المسلمون بالإسكندرية دارهم في عمارة ماجستيك بميدان المنشية، وهي الدار التي تنازل عنها الصباغ محمود لبيب رحمة الله للإخوان حين تعرف على الأستاذ المرشد في مخيم الدخيلة بالإسكندرية.

وكان رئيس القسم المخصوص أو ما كان يسمى بالبوليس السياسي "المباحث العامة" الآن، وإسمه الصاغ زهران رشدي يجند مخبرا لمراقبة نشاطنا في الشعبة وكتابة التقارير عنا .. كان هذا المخبر يلازمنا طوال اليوم حتى ننصرف في المساء إلى بيوتنا، ولم يكن مجهولا لدينا، بل كان معروفا لنا.

ولما جاء الأستاذ البنا لزيارتنا، شكونا إليه من وجود هذا الشخص بيننا، وطلبنا منه أن يسمح لنا بطرده من الشعبة، فضحك رحمة الله وقال: إن وجود مخبر بينكم ومعروف لديكم خير من وجود مخبر لا تعرفونه، فاحرصوا على معاملته معاملة كريمة، لعل الله يصلح حاله فلا يكذب عليكم ويكتب ما يراه وما يسمعه بالحق. وأخذنا بنصيحة الأستاذ البنا حتى رأينا الرجل يخجل من نفسه وظل على وضعه حتى نهاية خدمته، واستمر الرجل وهو في المعاش على حاله في زيارته لنا، وكنا نستقبله بنفس الشعور الطيب.

أدب

كان من أدب الإخوان بالقاهرة إذا أراد أحدهم أن يسافر إلى بلدته إستأذن في ذلك من الأستاذ المرشد رحمه الله، فضلا عن أنه إذا كانت هناك رسالة أو مهمة كلفه بها.

و ذات يوم حضر الأخ الحاج عبد الرزاق هويدي يستأذن في السفر إلى بلدته، فلما سأله فضيلة المرشد عن سفره المفاجئ أخبره بأن جده مريض ويريد أن يعود. فدعا له فضيلة المرشد وطلب من الحاج عبد الرزاق أن يبلغ جده خالص تمنياته له بالشفاء. وفي اليوم التالي فوجئت عائلة هويدي بالأستاذ المرشد يحضر لزيارة جدهم الكبير، وكانت مفاجأة أثارت اهتمام العائلة جميعا فأسرعت ترحب بمقدمه، وشباب عائلة هويدي لهم ميول سياسية متباينة فمنهم الوفدي ومنهم السعدي، وحول سرير الجد الكبير دارت بعض الأحاديث الخفيفة، وتكلم الجد بكلمات ترحيب وشكر للأستاذ المرشد، ونوه بفضل الإخوان في أنهم جعلوا الحاج عبد الرزاق شخصية إسلامية مؤمنة .. ورد الأستاذ المرشد، فقال له إنه لا فضل للإخوان في ذلك، فالإخوان والحمد لله يرزقون من كل عائلة كريمة بمن يمثلهم في هذه العائلة.

ونزلت هذه الكلمات الرقيقة الواعية على قلوب الجميع بردا وسلاما، وتدوقوا فيها قيمة الدعوة والداعية. وأذكر يوم توفي إلى رحمة الله تعالى والد أحد الإخوان الفضلاء في أسيوط .. وكان هذا الأخ على خلاف مع الإخوان منذ سنين ولم يحاول الاتصال بهم. وبمجرد أن علم فضيلة المرشد بهذا انتقل بسرعة من القاهرة إلى بلدة هذا الأخ ناسيا كل خلاف. وحين وصل فضيلته استقبل هناك أحسن استقبال، وحين جاء وقت الصلاة العصر توجهت جموع المعزين إلى المسجد، وبعد أداء الصلاة طلب المصلون من فضيلة المرشد أن يلقي عليهم موعظة، فوقف فضيلته وشكرهم، وقال: لقد آتيت معزيا ولم آت داعيا ... وكانت هذه الكلمات المخلصة الكبيرة المعنى أعظم دعوة. وعاد الأخ إلى صفوف الإخوان راضيا مرضيا وزالت الجفوة.

نقاتل أعداءنا بالحب

لعل مما يزعجنا الآن أن نلاحظ أن بعض المتصددين للدعوة للإسلام عصبيون لم يهضموا بعد أدب الاختلاف، ويضيقون صدرا بالرأي المخالف، مسبغين عليها التفرغ بل السباب بل التكفير أحيانا في غير كفر والعياذ بالله .. واضرب مثلا مقابلا، حين جاء إلى الأستاذ البنا أحد زملائه خريجي دار العلوم هو الأستاذ "س. سعد" وهو من أروع الناس وأتقاهم، ولكنه غضب كل الغضب لأن الإخوان أنشأت فرقة للجوالة والكشافة (تلبس البنطلون القصير) .. قال الأستاذ "س. سعد": "يا حسن أفندي" فأجاب: "نعم يا سيدي" قال: "إني أكرهك"، فابتسم حسن البنا وقال في هدوء وبشاشة: "وإني والله لأحبك"، فقال الرجل: "ولكني أكرهك في الله"، وبالشاشة نفسها والهدوء أجاب حسن البنا مخلصا "هذا يزيدني فيك حبا". ولم يكن ذلك مصانعة وإنما كان الرجل يقتات على المحبة.

وكان من الاصطلاحات الشائعة جدا على السنة الإخوان "المهم: الحب في الله" .. وكان يردد في دروسه (سنقاتل الناس بالحب)، بل كانت البيعة التي صاغها لهم، أن يعاهدوا الله على "الاستقامة والمحبة والثبات على الدعوة".

كان يرى تعدد الآراء إثراء لأي مجتمع، وكان يضرب المثل بكبار الصحابة من حول الرسول صلى الله عليه وسلم، يكون لأبي بكر رأي ولعمر رأي ولعلي رأي دون أن يؤدي الاختلاف إلى تلك الحالقة التي تحلق الدين لا الشعر، ومن تعاليم الأستاذ البنا التي طالما ردها بلا ملل قولته المشهورة التي لا تزال حية إلى اليوم "تعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"، ولا تزال إلى الآن أفرادا وجماعات ودولا في حاجة إلى هذا الهدى، وكان في الأربعينيات عضوا نشطا في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية من سنة وشيعة، مؤمنا بأن الأرضية الإسلامية المشتركة تتسع بل تحتاج لتضافر الجهود كلها ويبقى كل على معتقده.

وها نحن هؤلاء اليوم نكاد نعيش حالة أشبه بانسطار الذرة، نفترق على الفروع قبل أن نفترق على الأصول، وتصرفنا مسائل المظاهر والكماليات عن التنبيه لخطط تدبر لاستئصال شأفة الإسلام من الأرض، ولم يعد أمرها سرا ولا إشاعة، ونلتقط في شغف ونهم هذه الطعوم التي تلقي بها في طريقنا أجهزة مخبرات دائبة على تشجيع كل جهد مقروء أو مسموع، مخلص أو غير مخلص، يكون من ورائه أن يظل بأس المسلمين بينهم وألا يكونوا يدا على من عداهم.

صراخ الأطفال

في محنة الإخوان في نهاية 1948م، وفي الفترة التي قضاها قبل استشهاده في فبراير 1949م .. كان كل هدف الإمام البنا هو إخراج المعتقلين، فركزت كل جهوده ومساعيه حول تحقيق هذا الهدف، ولقد بلغت المأساة في ضميره ذروتها .. مأساة البيوت التي فقدت من يعولها وفقدت الأمن والسعادة والطمأنينة ... لم يستريح باله ولن تفر نفسه المعذبة ولن يهدأ قلبه الأسيف الحزين، ولن يتوقف ما يسمعه من صراخ أطفال المعتقلين يدوي في أذنيه حتى يرى آباءهم قد أفرج عنهم وعادوا سالمين إلى بيوتهم ... هكذا يروي عن حاله في هذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر.

وكان الإمام الشهيد يستيقظ في الليل ويضع كلتا يديه على أذنيه ويقول: "إنني أسمع صياح الأطفال الذين غاب آباؤهم في المعتقل". وقالوا له: لقد اعتقلوهم جميعا وتركوك! فما هي الحكمة؟ .. إنه من الخير أن تخرج إلى سوريا أو الحجاز أو باكستان، فرفض، وقال: هذا هو الجبن، كيف أترك هؤلاء في المعتقلات ولا أسعى لإخراجهم!

وكتب له الإخوان من المعتقل يقولون: دعك من أمرنا، وخذ الطريق الذي تراه .. ولكنه أصر على أن يخرج هؤلاء حتى يستريح. وقال له بعض المتحمسين: ألا ترى أنهم قد حاربونا أعنف الحرب فحطموا بناء عشرين عاما .. صودرت الأموال وحلت الشركات، وأغلقت الشعب والمركز العام، واعتقل الإخوان بالآلاف، أليس هذا موعد الآية: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...؟). لقد كان في استطاعته أن يعلنها حربا ويشعلها نارا، وكان لديه من القوة ما يمكنه من ذلك بنيتهم من القواعد .. ولكن بماذا أحاب على هؤلاء المتحمسين؟ قال: لن أكون داعية فتنة، ولن آمر بمنكر .. ولن أغضب لشخصي، ولن انتقم لنفسي. ولما سمع بمقتل النقراشي جزع وأسف.

في منزل الأستاذ مصطفى مشهور

يجهل كثير من الناس الحقائق والدوافع التي هي سر اليقظة والحيوية في الإنسان المسلم، وينظرون دائما إلى الأشكال والمظاهر ولا يغوصون ولا يستلهمون ما وراء ذلك.

ولقد كانت حياتنا بعض الوقت مع الإمام حسن البنا رحمه الله طبيعة معينة لم نكن ندرك تماما روعتها إلا بعد أن فقدنا تواجدنا بيننا، ولم ندرك هذه الحقيقة إلا بعد أن قست علينا الحزن ونأت بنا عن هذه المعيشة، لقد كان حسن البنا روحا كبيرة فسيحة تملأ كل الفراغ كما يملأ الهواء كل الأجواء، وكان الحضور معه يعني أن تعيش مغمورا في بحر من السعادة والنور .. فهو يتعامل معك كأنك وحدك المقصود بكل عواطفه ومشاعره، وليست هذه العاطفة منه مجاملة أو ترضية، ولكنها عاطفة صادقة حقيقية عميقة رقيقة تجيش بالحب، والأمثلة على ذلك كثيرة:

أذكر منها ما أحسسته بنفسه وشعوري، كان ذلك في منزل الأخ الأستاذ مصطفى مشهور في شارع زين العابدين. محرم بك بالإسكندرية عام 1945م، وهناك وجدت مجموعة من الإخوة قد سبقوني، وبعد لحظات وصل إلى المنزل فضيلة المرشد حسن البنا وكانت مفاجأة سارة .. جلس يتحدث معنا في تطورات الدعوة وواجبنا نحوها بروح لطيفة مؤنسة، وتحدث عن أمله في الشباب وثقته بإيمانهم .. وكانت لحظات واستأذن الأستاذ للخروج .. وقمنا لوداعه، وكان عناقا حارا مؤثرا أبلغ وأعطر وأزكى ما فيه، تلك الدموع التي تساقطت من عينيه .. ويا لها من لحظات في حياتنا .. لا تنسى أبدا.

وداع

تطوع شباب الإخوان المسلمون لقتال اليهود على أرض فلسطين الإسلامية، وكان قد تقرر نقلي من سلاح الصيانة في مرسى مطروح للعمل مع القوات المسلحة في غزة، وذهبت إلى القاهرة لأودع الأستاذ رحمه الله. وهناك في دار المركز العام دعاني إلى لقائه في حجرة في الدور العلوي، وجلس معي على انفراد في حديث الوالد يغمري بعاطفة حلوة ندية، كأنه لقاء الوداع .. كان يستشعر أنني ربما يكتب لي الشهادة في هذه المعركة، لهذا طلب مني أن أسجل عن نفسي بعض المعلومات التي قد تفيد النشر إذا قدر الله لي أن أكون في سجل الشهداء، ثم وقف يودعي بنفس الحرارة وبنفس العاطفة وظل يراقبني حتى غبت عن ناظريه ولسانه في دعاء وقلبه في رجاء. تلك هي القيادة التي توالي الجنود بصدق الحب والحدب، وبهذا يتكون الجنود الذين يسمعون ويطيعون القيادة بكل الإيمان والثقة والتجرد.

وحين استشهدت أول كوكبة من شباب الإخوان المسلمون في معركة دير البلح بفلسطين في مايو 1948م، خرجت جريدة الإخوان المسلمون اليومية وقد صدرت صفحتها الأولى بإطار أحضر يضم تعريفا زود بالصور الفوتوغرافية لإثني عشر شهيدا، وكتب الإمام حسن البنا يقول هذا المعنى: هؤلاء الإخوان قد أحسنوا صناعة الموت واختاروا الموتة المطهرة، التي طالما هتفوا بها، لقد صدقوا الله فصدقهم الله .. لقد عجبت كيف يجزن عليهم بعض الناس، مع أن الشهداء هم الذين فروا إلى الله تعالى رغبة وفرحا بلقائه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

مع سماحة مفتي فلسطين

روى لي الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن أنه في إحدى زيارته لسماحة محمد الأمين الحسيني مفتي فلسطين، جاء ذكر الشيخ حسن البنا، فقال سماحة المفتي إنه قد تأثر كثيرا بشخصية الأستاذ حسن البنا، وقص عليه هذه القصة: ذات يوم زاره حسن البنا وجلس إلى جواره وتجادبا أطراف الحديث، وبعد برهة من الوقت جاء ضيف، فتخلى حسن البنا عن مكانه بجواري .. وكلما دخل ضيف آخر ترك حسن البنا مكانه مفسحا للقادم الجديد وهكذا حتى أصبح مكانه إلى جانب باب حجرة الطعام .. ولما حان وقت الطعام وفتحت الغرفة، وكان من الطبيعي أن يكون أول الداخلين هو حسن البنا، ولكني لاحظت أنه أخذ يتراجع حتى صار آخر الداخلين .. فأدهشني هذا الخلق الرفيع!!

حسن البنا ... ورئيس وزراء سوريا

روى لي الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمون في الأردن، أن الأستاذ إحسان الجابري رئيس وزراء سوريا، زار مصر بالقطار من طريق غزة ثم العريش. يقول الأستاذ إحسان: أنه لم يتوقع الذي رآه!! ذلك أنه ما من محطة من محطات السكة الحديد على طول الطريق إلى القاهرة يقف عندها القطار إلا ويجد هتافات تحيي جهاد سوريا وكفاحها تشق عنان السماء ويتقدم من بين هذه المظاهرة وفد من جماعة الإخوان المسلمون

في المنطقة لتحييتي بكل عواطف الحب والاحترام والتقدير مع تمنياتهم لشعب سوريا الشقيق بالعرز والسؤدد .. واستمر الحال على ذلك حتى وصلت إلى محطة سكة حديد القاهرة، وفيها وجدت الإخوان يقفون في انتظاري واستقبلوني بالبشر والحفاوة والترحاب. ويعقب الأستاذ إحسان لشقيقه الأستاذ سعد الله الجابري، على استقبالات الإخوان في مصر له: إنه لم يكن يحس نحو الإخوان بشيء من الصلة، ولكن بعد ذلك شعر بعاطفة تشده نحو الإخوان المسلمون.

حسن البنا والمعلم إبراهيم كروم

رغب الإخوان في حي بولاق بالقاهرة الاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، فذهبوا يبحثون عن أرض فضاء يقيموا عليها سرادقا يؤمه الناس بهذه المناسبة التي سيخطب فيها فضيلة المرشد. وفيما هم يبحثون وقع نظرهم على أرض مناسبة، ولكنهم علموا أن صاحب الأرض (مسيحي) وبينما هم في حيرتهم يتناقشون الأمر إذا برجل كان يجلس على مقهى مجاور لهذه الأرض، فسألوه: هل يمكن إستئجار هذه الأرض لنقيم عليها حفلا إسلاميا بمناسبة ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فاستقبلهم الرجل بأحسن الأخلاق، وقال لهم: إن هذه الأرض ليست ملكا لي، ولكنني نيابة عن صاحبها أقول لكم أقيموا الحفل على ضمانتي ... فعجب الإخوان من سماحة الرجل وشجاعته، وعرفوا أخيرا أن هذا الرجل هو (المعلم إبراهيم كروم) فتوة حي بولاق الشهير. وذهب الإخوان إلى الأستاذ البنا وأخبروه بما حدث، فكان ذلك مبعث سرور له. وجاء موعد الحفل، وهرع المسلمون للاستماع إلى مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الاحتفال ... وحين وصل الأستاذ البنا إلى سرادق الاحتفال توجه رأسا إلى المقهى وسأل عن المعلم إبراهيم كروم وسلم عليه بحرارة وشكره على موقفه، وحضر المعلم إبراهيم كروم الحفل واستمع إلى فضيلة المرشد وهو يحببه مرة ثانية أمام الجماهير، وما إن انتهى الحفل حتى أصر المعلم إبراهيم كروم على دعوة الأستاذ على كوب شاي في المقهى.

ومنذ ذلك اليوم وإبراهيم كروم دائم الحضور إلى المركز العام، ولم تنقطع صلته به في يوم من الأيام. وفي حوادث مارس 1954 عندما هب الشعب المصري يطلب الخلاص من طغيان جمال عبد الناصر وديكتاتوريته العسكرية، كان إبراهيم كروم على رأس المظاهرة الشعبية الكبرى التي أجبرت الطاغية على التنحي فيما يسمى بمقررات مارس التاريخية ... وعندما استطاع الطاغية بالمكر والخديعة أن يجهض هذه المقررات قبض على إبراهيم كروم وحكم عليه بالسجن وتوفي رحمه الله بعد الإفراج عنه.

مع المبشر الإسلامي عليم الله الصديقي

قام فضيلة المرشد بزيارتنا بالإسكندرية، وكان بصحبته المبشر الإسلامي عليم الله الصديقي ... وبينما نحن جلوس مع الأستاذ وضيفه حضر وفد من الإخوان بشعبة الحجاري بالإسكندرية وقدموا هدية للأستاذ المرشد عبارة عن شارة الإخوان المسلمون (سيفان متقاطعان وبينهما المصحف الشريف) محفورة على قطعة من الخشب الأبانوس موضوعة في علبة جميلة ... وما أن قام الأخ محمد حمام، نائب الشعبة بتقديم الهدية إلى الأستاذ المرشد، حتى قام فضيلته من فوره إلى الضيف الجليل عليم الله الصديقي، وقال: وأنا بصفتي المرشد العام للإخوان المسلمون أتقدم بهذه الهدية إلى مولانا وضيفنا عليم الله الصديقي .. وقام الرجل وتسلم الهدية في بشر وسرور. ولقد كنا في ذهول من سرعة بديهة الأستاذ البنا وفطنته لأمر غاب عن كثير من الإخوان، وكان درسا في رقة الشعور والإحساس. وعلى ذكر شعبة الحجاري .. عقد الإخوان في شعبة محرم بك مؤتمرا، وفيما كان الأستاذ يلقي خطابه في هذا المؤتمر جاء إخوان شعبة الحجاري إلى المؤتمر بهتافهم المدوية: (الحجاري تحييكم يا بنا ... الحجاري تحييكم يا بنا) فقطع الأستاذ خطابه ورد عليهم في الميكروفون هاتفا (ومن للحجاري غير البنا) .. فاهتز المؤتمر بالتهليل والتكبير، وصارت مثلا ودعابة يستروح بها الإخوان.

حسن البنا والشيخ محمد الأنصاري

جاء لزيارة شعبة الإخوان المسلمون في حي محرم بك بالإسكندرية رجل في سن الخمسين من صعيد مصر، يرتدي جلبابا ويلبس في قدميه خفين، عرفنا بنفسه أنه محمد الأنصاري من الإخوان بمدينة الإسماعيلية، ويعمل في هيئة السكك الحديدية في تركيب وخلع القضبان، وكان يأتينا على فترات يمضي بعض الوقت في الشعبة ثم ينصرف دون أن يأبه له أحد أو يلتفت إليه شاب أو يهتم به الاهتمام الواجب فقد كانوا في شغل عنه.

وتمضي أيام ويعقد إخوان محرم بك مؤتمرا يحضره الأستاذ المرشد .. في قاعة اللقاء يرى الأستاذ البنا الشيخ محمد الأنصاري بين الحضور، فيقبل عليه في حرارة واهتمام بالغ ويعانقه في حب وشوق، ثم يأخذه من يده ويجلسه إلى جواره في الصف الأول ... وحين تقدم الأستاذ البنا لإلقاء كلمته رحب بالأخ الضيف واحتفى به، وقال: يحضرنا في هذا اللقاء أخ من الرعيل الأول الذين عاصروا الدعوة منذ نشأتها في الإسماعيلية هو الشيخ محمد الأنصاري.

وكان درسا بليغا في التربية في معنى الأخوة ومعرفة أقدار الناس، فرب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره!
ولم تمض شهور حتى قاد الإمام البنا أكبر مظاهرة فوق النصف مليون من الأزهر الشريف إلى فندق الكونتنتينال حيث يوجد زعماء العالم العربي للدفاع عن فلسطين المجاهدة، حيث أعلن الإمام إستعداد عشرة آلاف متطوع من شباب الإخوان لخوض غمار حرب العصابات ضد اليهود، وفي أثناء المسيرة الكبرى أطلق رجال البوليس النار على المتظاهرين بقيادة حكمدار بوليس القاهرة وأصيب الأستاذ البنا في يده، فنظر إلى موضع الإصابة في أصبعه وتمثل قول الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة: هل أنت إلا إصبع دमित *** وفي سبيل الله ما لقيت وفي نفس اليوم أصيب الشيخ محمد الأنصاري حيث استشهد رحمه الله.

حسن البنا ... وذي طمرين آخر من الإخوان المسلمين

يقول الدكتور "أحمد الملط": كنت في مستوصف "الإخوان المسلمين" في بدروم المركز العام بين من يعدون المجاهدين للذهاب إلى فلسطين عام 1948م، أكشف على "المجاهد" لأقول: هذا يصلح للجهاد أو لا يصلح.
وفي إحدى الليالي بعد الغروب بقليل، سمعت عويل امرأة في ميدان الحلمية الجديدة أمام المركز العام للإخوان المسلمين، وخرجت لأستطلع الخبر، فوجدت عجوزا ومعها شابة وطفلان، يصرون على لقاء الإمام حسن البنا.
وكان مدير الدار الأخ "الطوبجي" يحاول منعهم، ودعاني الفضول لأذهب وأرى ما سيجري ... وكان الأستاذ بالدور الأعلى للمركز مع بعض مجالسيه، وعلا صوت المرأة بالصراخ مصرة على لقاء "البنا" والطوبجي بمنعها.
ولما وصل الخبر إلى الأستاذ البنا أمر الطوبجي بإحضار السيدة ومن معها.
كل هذا كان يجري، والسيارات كانت معدة في الميدان لتحمل من المجاهدين من انتهى الكشف عليه ليتحركوا إلى فلسطين .. في انتظار الأمر بالتحرك .. وصعدت وراء السيدتين لأرى ماذا سيفعلن مع الأستاذ الإمام حسن البنا.
دخلت كبراهن لتقول بالعامية الدارجة: "مش حرام عليكم يا بني تاخذوا عبد السلام وتسيبونا نجوع؟! .. فقال لها الأستاذ: ما هي الحكاية يا سيدتي؟ فقالت: إبنى عبد السلام باع البقرة والحمار .. واشترى بندقية ورايح يجارب في فلسطين، وإحنا عندنا فدان أرض مستأجرينه، وبناكل منه وبيتنا تخرب .. وأنتم أخذتم عبد السلام حرام عليكم .. فقال لها الأستاذ: يا سيدتي نحن أخذنا عبد السلام ولكن كل هؤلاء متطوعون .. فقالت: ولكنه مسافر خلاص.

فأمر الأستاذ البنا بإحضار عبد السلام .. وكان قد تم الكشف عليه، وصعد للسيارة استعدادا للرحيل .. ونادى المنادي على "عبد السلام" للحضور للقاء الأستاذ البنا، ولكن عبد السلام تخفى بعد أن علم أنه المقصود، وعلم بوصول أمه وزوجته .. ولكن الأمر هو الأمر، أمر عسكري صارم .. إخواني: إن القائد يطلب أحد الجنود، فما كان من عبد السلام إلا أن سلم بالأمر الواقع، ونزل من السيارة ليلقي الأستاذ في مكتبه، ودون مقدمات دخل وسلم ثم قال: "اسمع يا أستاذ .. إن كنت فاهم أنني رايح فلسطين علشان تنبسطوا .. لا أنا رايح علشان أموت في سبيل الله، وادخل الجنة التي عرضها السماوات والأرض.

فقال الأستاذ القائد: يا عبد السلام .. أنت ورائك أطفال وزوجة وأم وهذا من صميم الجهاد في سبيل الله أن ترعى هؤلاء ولسنا الآن في حاجة إلى مثلك ممن يعولون ويوم أن نحتاج لمثلك لن نتوانى في طلبك.
وإذا به يقول: "والله العظيم لرايح .. لا ابني ولا بنتي .. ولا مراتي .. ولا أُمي حتنفعي" وخرج .. وأصدر الإمام القائد أمره بمنعه من الركوب في السيارة .. وإذا به يقسم أن يسير بطريقته الخاصة إلى فلسطين .. وينتهي المطاف به في "القنطرة شرق" حيث لقيه الإخوان وأخذوه معهم، وكان من أوائل الشهداء.

حسن البنا ... يحافظ على جوهر الدعوة أتمدون بمال؟!

عندما فشلت أساليب الإرهاب والإعنات والتضييق التي استعملها المستعمرون الإنجليز وأذناهم مع الإمام حسن البنا ليقفوا تيار دعوته الجارف وليصدوه عن إثارة الوعي الإسلامي في نفوس الشعب ... عندما فشلوا في استخدام أساليب التهيب، قالوا نحاول ترويضه فلم يأت معه أسلوب الوعيد بنتيجة، رأوا أن يجربوا معه طريقة الإغواء والإغراء فقد أفادت مع غيره.

وفعلا بدأ أحدهم يتصل بفضيلته في المركز العام الذي كان قد انتقل إلى 13 شارع أحمد عمر بميدان الحلمية الجديدة .. وتوالت الاتصالات، فهذا مسلم بريطاني يغار على الإسلام والمسلمين، وذاك مستشرق يعشق الحقيقة وله عشق خاص بالدراسات الإسلامية ويحقق التاريخ الإسلامي، وتوالى (الغيورون) على الأستاذ يتحدثون عن كفاءته وامتيازته والظلم الواقع عليه، كيف يكون هذا وقد كان أول دفعته، كيف يعمل مدرسا إبتدائيا ومن هم أقل منه أساتذة بالجامعات .. يا سيدي إن مكانك هناك في مدرجات الجامعة وليس في صفوف المدارس الإبتدائية!! وأفهمهم الأستاذ بأنه هو الذي اختار هذا الطريق وانصرف عن طريق البعثة لصالح الدعوة .. فقالوا وكأنهم لا يفهمون، الأمر ما زال في أيدينا ولا بد من رفع الظلم الواقع عليك .. واعتذر الأستاذ وقطع عليهم الطريق.

وجاء آخر يبدي إعجاباه بنشاط الإخوان، ويقول: إن الإمبراطورية من خططها معاونة الجمعيات الدينية والإجتماعية، وهي تقدر كثرة النفقات والأعباء الكثيرة التي تضطلع بها الجماعة، وهي لهذا تعرض مساعدتها بدون مقابل ولا بأس في ذلك .. ورفض فضيلة المرشد، ولكنه حاول أن يفهمه أن هذا أمر عادي نقوم به مع أصدقائنا، وقد سبق أن قدمنا مثل هذه المساعدات لجمعيات وأحزاب صديقة وزعماء ورؤساء نقدرهم ونعجب بنشاطهم، وهذا (شيك) بعشرة آلاف جنيه مساعدة من الإمبراطورية .. ورد الأستاذ بابتسامة: إنكم في حالة حرب وأنتم أكثر احتياجا إلى هذه الآلاف.

وظن بعضهم أن سعر السوق في دار الإخوان أعلى من هذا فرفع المبلغ، وكلما امتنع الأستاذ المرشد زاد في المبلغ، ولما لم يجد نتيجة للمحاولة، قال: يا فضيلة الأستاذ إني أريد أن أقدم لكم خدمة لا أكثر، ويدفعني إلى هذا حيي وتقديري، وهذا شيك على بياض فاكتب الرقم الذي تريد ... ورفض فضيلة المرشد بكل إباء، وقال: إن المال لا يشتري به غير العبيد، وما دتم تتعاملون مع الشعوب بهذه الطريقة، وما دامت هذه عقليتيكم في سياسة مستعمراتكم فإن ملككم زائل لا محالة.

ويقول: لقد عرفت كيف يتعاملون مع زعماء الأحزاب وقادتنا السياسيين .. لقد كانت الكلمات تنزل على صدري نزول الخناجر .. وتمثلت قول سليمان فيما روته عنه الآية الكريمة (فلما جاء سليمان قال أتمدون بمال فما آتاني الله خيرا مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون).

في الرد إستهزاء بالأسلوب الرخيص الذي استخدمه الإستعماريون في سياسة مستعمراتهم وشراء ذمم القادة والزعماء ... وفي الرد إستهزاء بالمال واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله، مجال صاحب العقيدة وصاحب الدعوة.

وللأسف كان في صفوف الجماعة من خالف القائد في نظرتة، وكانت حجته في ذلك، لما لا نأخذ المال ونستعين به عليهم؟! .. وكان جواب القائد: إن اليد التي تمتد، لا تستطيع أن ترتد، وإن اليد التي تأخذ العطاء لا تستطيع أن تضرب .. إننا مجاهدون بأموالنا وليس بأموال غيرنا، وأنفسنا وأرواحنا لا بأرواح غيرنا.

الله غايبتنا

في عام 1938م عقد طلاب الإخوان المسلمون مؤتمرا بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وعندما وقف الإمام البنا للخطابة، إذا بأحد الإخوة من الطلاب تجيش عواطفه وتأخذه الحماسة فيهتف (بحياة حسن البنا)!! .. وبالرغم من أن هذا الهتاف لم يكن إلا صحيحة في فلاه، لم تجد من يستجيب لها من الحضور، فقد وجدنا فضيلته يقف صامتا والأنظار تتطلع إليه وكأن شيئا قد حدث، وما هي إلا لحظات حتى بدأ حديثه في غضب، فقال: أيها الإخوان إن اليوم الذي يهتف فيه في دعوتنا لأشخاص لن يكون ولن يأتي أبدا .. إن دعوتنا إسلامية ربانية، قامت على قاعدة "لا إله إلا الله"، فلن تحيد عنها .. أيها الإخوان لا تنسوا في غمرة الحماس، الأصول التي آمانا بها وهتفنا لها من كل قلوبنا "الله غايتنا" فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى، والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم .. (يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) .. "والرسول قدوتنا" (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

وبهذا الموقف الذي جاء في حينه، وضع حسن البنا شباب الإخوان أمام درس عملي للمحافظة على جوهر الدعوة وأصولها الربانية، التي لا تفرق بين رباط المؤمنين بما على (الأشخاص) مهما تكن مراكزهم في المجتمع أو في مسيرة العمل الإسلامي. استمع إليه وهو يشرح هذا الهتاف، ويعمق معانيه في النفوس حين يقول:

الله غايتنا: (إن دعوة الإسلام أيها المسلمون مبدؤها ومنتهاها أن يتصل الناس بالله صلة حقيقية تطهر من قلوبهم وتغير من نفوسهم، وأن يعرفوا عليه تعرفا حقيقيا، وهي الغاية التي قامت عليها السموات والأرض، وبعث لأجلها النبيون ويقوم بها الصالحون .. فالناس لا ينصلحون ولا تنصلح أحوالهم إلا إذا عرفوا ربهم .. ونريد نحن الإخوان أن نقيم الناس على أمر الله، وذلك لن يكون إلا إذا عرفوه، وتفتحت قلوبهم عليه، فإذا لامست معرفة الله قلب إنسان تحول من حال إلى حال، وإذا تحولت الأسرة تحولت الأمة، وما الأمة إلا مجموعة أسر وأفراد .. إننا حينما هتفت بأن الله غايتنا، فإنما نريد أن نعلموا كلمة الله على كل كلمة، وأن يسود شرع الله على كل تشريع، وأن يصبح المسلمون جميعا ربانيين .. إذن فغايتنا الله، لأننا ندعوا الناس إلى الله، ونجمعهم على الله، ونعرفهم بالله، ونحن نعلم أننا ما خلقنا في هذا الوجود إلا لعبادته (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ... ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستعين بكم على أمر عجزت عنه، ولا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرة، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلا وتذكروني كثيرا وتسبحوني بكرة وأصيلا" ... ونحن نأتمر بما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ قال له: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ... وننصح لما نصح به الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمه عبد الله بن عباس، إذ قال له: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف".

فنحن لا نتوكل إلا على الله، ولا نطلب إلا من الله، ولا نخاف إلا الله، فلن نضام ما دام معنا الله، فنحن في نعيم دائم، ولو تكاثرت علينا مصائب الدنيا (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

حسن البنا ... والدكتور أحمد الملط

قال الدكتور أحمد الملط نائب المرشد العام للإخوان المسلمين: كنت أعمل في أحد الأيام في المركز العام للإخوان المسلمين .. لا أذكر ماذا كنت أفعل، ولكنني كنت مرتبنا بمستوصف الجماعة بالحلمية الجديدة الذي كان في البدروم للمركز العام، وبدا لي أن أسأل الأستاذ المرشد في شيء ما لا أذكره الآن، فذهبت إليه .. وفي صحن الدار وقفت أمامه لأحكي حكايي.

وكنت وقتها حديث التخرج (فرحان بشباي) فالبدة مكوية .. والحذاء ملمع، وربطة العنق مسواة، والمنديل في جيب المعطف ذي

ثلاث شعب ..

وبدأت حكايي .. واستمع لي الإمام في صمت وأناه، وأنا مستمر في حكايي وإذا بيده تمتد إلى جيبتي الخارجي، وكلما استمر تدفق

الكلمات من فمي، كلما استمرت أصابعه في دفع المنديل إلى داخل الجيب .. وتسمرت عينا على أصابعه وهي ما زالت تدفع بالمنديل ..

وهنا اهتززت من الداخل، وشعرت أن هذا القائد الكبير يقول لي: "ليس من صفات الإخوان وضع المنديل في الجيب، ولا تلميع الشعر، ولا غيره من نحث الشباب، ولكن الجد هو الصفة الأولى لكل من يدعي الانتماء إلى تلك الجماعة. ومن يومها وحتى يومنا هذا، وحتى ألقى الله جعلت هدفي الجد في كل شيء. وهذا ما أدعو إليه الإخوان جميعاً من شباب، ومن شيب، أن يكون "الجد" هو الطريق الوحيد لنصل إلى أهدافنا، فليس هناك متسع للهزل في دعوتنا دعوة الحق والقوة والحرية ولا شك.

درس آخر في رشيد

في مدينة رشيد أقام الإخوان حفلاً بمناسبة ذكرى (الإسراء والمعراج) على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وحضره فضيلة المرشد. وحين جاء دور أحد الدعاة في الخطابة، وكان من المتحمسين لنشر دعوة الإخوان، قام فقال: إن مثلنا الآن من فضيلة الأستاذ المرشد (وهو يشير إليه) كمثّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه .. وما كاد الأستاذ المتحدث ينتهي من التلّفظ بهذه العبارة، حتى نهض الأستاذ البنا مسرعاً إلى المنصة واتجه إلى الناس وهو يقول: (أيها الإخوة معذرة إذا كان الأستاذ المتحدث قد خانته التعبير، فأين نحن من تلامذة تلامذة رسول الله صلى الله عليه وسلم!!) .. ثم عاد إلى مكان جلوسه. وانتظر الناس أن يستأنف الأستاذ المتحدث كلامه، ولكنه لم يفعل، وفي اليوم التالي انقطع إتصاله بالإخوان، وبعد مدة أعلن عن تكوين جمعية باسم (التقوى والإرشاد) بالإسكندرية.

والحق أن الأستاذ البنا لم يكن باستطاعته السكوت على مثل هذه (الأقوال) .. ذلك أنها كانت تمس الأصل الأول الذي قامت عليه دعوته، وأراد بناء جماعته على أساسه، فقام في الحال ليقطع مسلماً من مسالك الانحراف عن طريق الدعوة الرباني، فهو الذي يعلم الإخوان أن لا يهتفوا باسم أحد إلا الله، ولا يعظموا شخصاً ولا يحياوا إنساناً إلا الرسول الكريم.

هؤلاء قالوا عن حسن البنا

بعد أن عشنا هذه السياحة القصيرة في رحاب الإمام حسن البنا الداعية القدوة، وهو يسير بدعوته على قدم النبوة المحمدية، يحيي بها القلوب، ويجلو بها الركام الذي حاول أعداء الإسلام إهالته على مفاهيمه وقيمه وتعاليمه .. ووفق الله إيماننا الشهيد، حتى غدت دعوته أمل المسلمين في كل مكان، وأضحى شروق شمس الإسلام وسيادته من جديد هدف قريب المنال بإذن الله تعالى بعد كان حلم خيال في ذهن الكثيرين من أبناء المسلمين، وباتت جماعة الإخوان المسلمين كما يقول القائل: حسن البنا والإخوان أمل الأمة في كل مكان تعيش في الصفحات التالية مع بعض ما كُتِبَ وقيل عن الإمام الشهيد الإمام.

صفات النادرين من أولي العزم

الفضيل الورتلاني

كان لحسن البنا صفات تفرقت في الناس وقلما اجتمعت في شخص واحد اللهم إلا طائفة نادرة من أولي العزم: للرجل طاقة عالية ينفرد الناس من ناحية من نواحيها ولا تجتمع لهم .. فإذا حدثه الفقيه وجد فيه الفقيه الممتاز ويحيل إلى أن هذه صفته .. وإذا اجتمع به الأديب توهم أن هذه صفته وما له غيرها وإنما هو مكمل .. وإذا لقيه السياسي وجد فيه سياسياً من طراز فريد .. وحسب أن ما له من الصفات الأخرى إنما هو جزء يسير .. والحق: إن حسن البنا هو تلك الصورة الضخمة التي تجمع تلك الصفات جميعاً. وبخط وافر يوازي .. وإن لم يزد ما للمتخصصين فيها من حظ.

كان يملأ بيته بالقرآن

الأستاذ أحمد عبد الرحمن البنا

غاب عن الناس من خلقه ما جعله بين نفسه وربه، يستره عن الناس فلا يطلع عليه إلا خاصة أهله، فهو في بيته شهد الله لا يفتر عن مصحفه ولا يغيب عن قراءته، ولا يغفل عن ذكره، يتلو القرآن على الحافظ منا فيسمع له، ويلقي بالمصحف إذا لم يجد حافظاً إلى الصغير فيراجع عليه، ويملاً البيت بالقرآن والتلاوة ساجداً في آيات، غارقاً في ذكريات، صاعداً إلى سموات.

كان أملك الناس لزام نفسه، أحلم الناس إذا خاطبه جاهل حتى يغضب من لا يعرفه من حلمه. أشد الناس عفواً وصفحاً عمن أساء إليه حتى لم يعرف له عدو.. وكان يقول من عيوي أني لا أعرف كيف أخاصم أو أعادي.

لا يذكر أحد عنده بسوء إلا زجر الذاكر ومدح المذكور، فيخجل الواشي ويقلع المسيء، وتصح نفس هذا وذاك.

جهاز لا يخضع لمؤثرات المادة وقوانينها في الطاقة والموايد

الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد - من الرعييل الأول للإخوان المسلمون

لقد كان لروحه الكبير سلطان ساحر، لا يجلس إليه أحد حتى يدير روحه العظيم وجهته في مدار الإسلام، وتجذبه شخصيته السماوية القاهرة إلى أفق النور والسماء، وتدفعه طبيعته (الإمامية) الفذة إلى محراب الخير والصلاح.. كان لروحه العالية على سلاسته سيال قاهر يؤثر ولا يتأثر، ويدفع ولا يندفع، ويخفي ضرورة كل شارق، وكان له تيار على رفته جارف لا يقف دونه سد ولا حجاب، يتسلل إلى الأرواح في رفق ولطف وأناة، كما يتسلل الجدول الهادئ بين الجبال والأودية فيكسوها خصبا وظلا ورواء وسناء.. إن من أبرز سمات شخصية الإمام الشهيد روح (الحركة) في طبيعته، وطاقة العمل الضخمة في أعصابه ودمه.. كان شخصية عجيبة فذة حقا: هي روح وعقل وجسد..

روح: هي شعلة سماوية تتوهج بالحرارة والضياء.

وعقل: هو ميزان محكم لا يميل ولا يضطرب على كثرة الأحداث وهول المشاكل.

وجسد: هو أداة طبيعة لهذه القوى الكبيرة المعاني القدسية العالية.

كان شخصية متحركة لا تقف ولا تسكن، كأنه فلك إنساني يدور مع الكواكب يعمل ويوجه ويعد وينظم، وينتج في لحظات ما يقصر عنه غيره في شهور وسنوات.

كان يركض إلى الله حين يمشي العاملون، ويثب إليه حين يركض المخلصون، ويطير إليه حين يثب الصالحون، كان يتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم في جهاده الدائم، حتى كان من أوصافه: (ليست له راحة)..

تبهرك أعصاب فذة كأهما جهاز كهربائي نسيج وحده، لا يخضع لمؤثرات المادة وقوانينها في الطاقات والمواقيت، سهر دائم وفكر عامل ثاقب، وسلسلة لا تنقطع حلقاتها في الفكر والعمل والإعداد والتوجيه، وأسفار تلو أسفار حتى تغلغل في أعماق الكفور والنجوع بين العشائر والقبائل، فكان الزعيم الحق الذي جلس على التراب، وخالط لأول مرة طبقات الشعب في حياتهم، وأحس آلامهم ومشاكلهم.

إنه عصابة مجتمعة من الرجال الأقوياء

صديق عمر ورفيق حياة الإمام الشهيد اللواء محمد صالح حرب

لقد كانت الآلاف تعجب فلا ينقضي عجبها من هذا الفيض الغزير من العلم الذي وهبه الله لحسن البناء، والذي كان يظهر كالبحر الزاخر والسيل المنهمر حينما يتناول قلمه ليكتب وحينما يقف ليخطب، فلقد كان يظل الساعات وهو يخطب الجماهير وفيهم الخاصة وفيهم العامة، ومن هم بين الخاصة والعامة فيرضي هؤلاء وهؤلاء وأولئك يرتفع بأسلوبه وتفكيره حيناً حتى تعز منافسته على الخاصة من الخطباء والمفكرين، وينبسط في عبارته ومعناه حيناً حتى يأتي بالسهل اليسير الممتنع الذي يفهمه الجميع ويفقهه سائر الناس، وإن كان لا يستطيع أن يجاريه فيه كثير من الناس.

يعد أن يكون هذا الفيض أثرا من آثار المطالعة والقراءة، فكم من أناس يسرفون في المطالعة والقراءة ولا يستطيعون أن يجيدوا الكتابة أو الخطابة، ولكني أعتقد أنه قد تعاونت على إيجاد هذه الخاصة في حسن البناء أسباب كثيرة منها: النفس الصافية .. والعقل الذكي .. والقلب النقي .. والإقبال على الله .. والتعب في حماه .. والتأمل الموصول في آيات الله الكونية، وفي آياته القرآنية .. والعناية الفائقة بتطبيق ما يقرأ وما يفهم على حياته الفردية وفي مجال حياته العامة.

استطاع أن يوقد جذوة الفكرة الإسلامية في صدور الآلاف من الشباب، واستطاع أن يرد غربة الإسلام بين الجاهلين به إلى معرفة وأنس .. وبذل في سبيل ذلك من عمله وجهاده ووقته ونفسه وأعصابه وراحته ما لا يستطيعه إلا العصبية المجتمعة من أقوياء الرجال.

الإمام هو معاني الإسلام السامية

السيد علي البهلوان السكرتير العام المساعد للحزب الحر الدستوري التونسي

افترن إسم الشهيد حسن البنا في نظر التونسيين بحركة التجديد والتطهير التي تجسدت في الإخوان المسلمين وأصبح إسمه رمزا لفكرة حية ومبدأ سام طالما تردد بين التونسيين من غير أن يجد من يسهر على تطبيقه حتى أبرزه المرشد العظيم. وقد كان لحركة الإخوان المسلمين صدى عميق في تونس لأن التونسيين آمنوا بأن الإسلام دين عمل وتضحية وفداء، وقد تجسدت في المرشد العظيم رحمه الله، تلك المعاني الإسلامية السامية، فأسمى منار هداية لمن يريد نهضة إسلامية أساسها ثابت وصرحها عال.

حسن البنا كما عرفته

الشاذلي المكي

لين الطباع والأخلاق .. يحسبه المرء أنه لشدة ليونته وسماحته متساهل حلو الكلام، يأخذك بحديثه فهو ما يزال بك حتى يفرغ في نفسك تلك المعاني السامية، التي ما دخلت قلبا إلا وجعلت صاحبه يؤمن بما له وما عليه في هذا المعترك. وفي لمبادئه .. وذلك بالدفاع عنها إلى حد الاستماتة في سبيلها .. ووفي لإخوانه وأصدقائه بالنصيحة لهم وتوجيههم التوجيه السليم الصحيح .. ووفي لهذه الإنسانية التي طوحت بها الإلحادية وغزتها المادية فأنستأها الله ثم أنستأها أنفسها، فضلت الطريق فهو يحاول أن يردّها، إلى ما إن تمسكت به لن تضل أبدا: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. متفان في دعوته، فهو يدرس ويقارن ثم يستنتج لينشر مبادئ القرآن وهدى نبي الإسلام، واضحة كفلق الصبح، جديدة كالنور، طاهرة كالحجة، قوية كالحجة، ومن هنا كان الداعية المصلح والواعظ المرشد المجدد ذلك هو حسن البنا كما عرفته في سنة 1945م وفي السنوات التي تلتها حتى لقي ربه شهيدا.

وفي نظري أنه إذا كان المصلحون الذين تقدموا حسن البنا مثل عمر بن عبد العزيز والغزالي وابن تيمية وابن القيم والأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الحميد بن باديس وغيرهم، قد نادوا بالإصلاح، وعملوا له، وحددوا معالمه مصداقا وفاقا لقوله صلوات الله عليه وسلامه: (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) فإن حسن البنا قد وضع لهذا الإصلاح بصورة لم يسبق إليها لا المعالم للتجديد والإصلاح فحسب وإنما الأسس والأركان .. ومن ثم كان من أكبر المجددين المصلحين لأمر هذه الأمة.

الإخوان المسلمون لا يجبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق

الشيخ أبو الحسن الندوي

شبه الشيخ أبو الحسن الندوي مقتل الإمام الشهيد بعقر ناقة سيدنا صالح، فكما أن عقر الناقة جلب على ثمود عذاب الله لهم بالطاغية، فإن مقتل الإمام الشهيد حسن البناء قد جلب على المسلمين عامة وأهل مصر خاصة الويلات والمصائب والنكبات.

الإمام الذي صرع تيار الإلحاد

السيد محمد هارن المجددي

كان الإمام الشهيد حسن البناء رضي الله عنه وأرضاه صورة طيبة لخيرة أصحاب قائدنا الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ملكت مبادئ الإسلام المثالية قلبه وفكره في كل لحظة من لحظات حياته، وكان لا يعيش لنفسه بل يعيش لهذه الأمة الإسلامية التي توالى عليها المحن ورائت عليها صروف الزمن ... كان التيار الإلحادي يجرف في لجه الشبيبة المثقفة وهي خلاصة الأمة وقلبها النابض ... ولكن الله تعالى ألهم الشهيد الإمام حسن البناء بما ألهم به عباده الصالحين فكان أمة وحده .. وقف أمام التيار الإلحادي فصرعه وأخذ بأيدي الحيارى والضالين فأرشدتهم إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم وغرس في قلوبهم تعاليم القرآن الخالدة.

قلب علي وعقل معاوية

العلامة طنطاوي جوهرى

إن حسن البناء في نظري مزيج عجيب من التقوى والدهاء السياسي، إنه قلب علي وعقل معاوية، وأنه علا دعوة اليقظة عنصر الحندية ورد على الحركة الوطنية عنصر (الإسلامية) ... وبذلك يعد الجيل هذا الجيل الإسلامي الحاضر النسخة الثانية الكاملة المعالم بعد الجيل الأول في عهد الرسول.

دعوة لا تعبت بها الزمان

السيد علال الفاسي - رئيس حزب الاستقلال المغربي

أعظم ما كان بارزا في شخصية حسن البناء هو إيمانه بالله وبصدق الدعوة التي يدعو لها وإيمانه بنفسه أيضا وأعظم صفاته هي قوة الملاحظة وقوة الملاحظة، ومهاتين الحصلتين استطاع أن يشق الطريق لدعوته في وسط كان أبعد ما يكون عنها وأعتقد أن الدعوة التي كانت تستفيد من حياة البناء لو لم يوافه الأجل المحتوم، ولكن العشرين سنة التي قضاها دائبا ليلا ونهارا على بذر فكرته وتطعيمها والعناية بها يجعلها في مأمن من أن تطوح بها أيدي الزمان العابثة.

كنت أتابعه من شقوق الباب

الشاعر الكبير المرحوم عمر بهاء الدين الأميري

لقد راقبته أدق المراقبة، حتى أنني كنت من شقوق الباب وهو يصلي في غرفته خاليا قبل النوم، وكنت أتفحص خشوعه فأراه أطول سجودا وأكثر إقبالا على الله منه وهو يصلي بنا.

المصلح الذي اصطنعه الله لدفع الفساد الذي صنعه الناس

الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة

وجدت فيه ما لم أجد في قبيله أو أهل حبله: من إيمان بالله راسخ رسوخ الحق لا يزعه غرور العلم ولا شرود الفكر، وفقه في الدين صاف صفاء المزن لا يكدره ضلال العقل ولا فساد النقل، وقوة في البيان مشرقة إشراق الوحي لا تحبسها عقدة اللسان ولا ظلمة الحس، إلى حديث يتصل بالقلوب، ومحاضرة تمتزج بالأرواح، وجاذبية تدعوك إلى أن تحب، وشخصية تملكك على أن تدعن ..

فقلت في نفسي بعد أن ودعني ومضى: (عجيب) هذا الشاب نشأ كما ينشأ كل طفل في ريف مصر، وتعلم كما تعلم كل طالب في دار العلوم، وعمل كما يعمل كل مدرس في وزارة المعارف، فعمن ورث هذا الإيمان، وممن إقتبس هذا البيان، ومن أين اكتسب هذا الخلق؟ إن الشذوذ عن قواعد البيئة الجاهلية، والنشوز على أنظمة المجتمع الفاسد، والسمو على أخلاق العصر الوضعي، من خصائص الرسول أو المصلح، فإن الله الذي يعلم حيث يجعل رسالته يريد أن يصنع النبي أو المصلح على عينه ليظهره في وقته المعلوم، فيجدد ما رث من حبله، ويوضح ما أشبه من سبيله، والفطرة التي فطر عليها حسن البناء والحقبة التي ظهر فيها حسن البناء تشهد بأنه المصلح الذي اصطنعه الله لهذا الفساد الذي صنعه الناس. ولم يكن إصلاحه رضوان الله عليه من نوع ما جاء به (ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومحمد عبده) فإن هؤلاء قصرُوا إصلاحهم على ما أفسدته البدع والأباطيل من جوهر العقيدة، أما هو فقد نَجح في إصلاحه منهج الرسول نفسه: دعا إلى إصلاح الدين والدنيا، وتهذيب الفرد والمجتمع، وتنظيم السياسة والحكم. فكان أول مصلح ديني فهم الإسلام على حقيقته وأمضى الإصلاح على وجهه. لم يفهم الإسلام الذي طهر الأرض وحرر الخلق وقرر الحق، على أنه عبادات تؤدي، وأذكار تقام، وأوراد تتلى، وإنما فهمه كما فهمه محمد صلى الله عليه وسلم، وعمر وخالد: نورا للبصر والبصيرة، ودستورا للقضاء والإدارة، وجهادا للنفس والعدو.

ولقد كان النهج الذي قبسه البناء من القرآن وعززه بالعلم، ونشره بالبيان، وأيده بالمعاملة، كان من الجد والصدق والعزيمة بحيث زلزل أقدام المستعمر وأفض مضاجع الداعية وخيب آمال المستغل، فتناصرت قوى الشر على الدعوة العظيمة وهي تتجدد في مصر كما تناصرت قوى الشرك عليها وهي تولد في الحجاز، ولما كان حسن البناء فكرة لا صورة، ومبدأ لا شخصا، فإن الفكرة الصالحة تنمو نماء النبت، والمبدأ الحق يبقى بقاء الحق.

كتب مكرم عبيد مخاطبا الإخوان في كلمة له عن الإمام الشهيد

وإذا ما ذكرتم اليوم الفضيلة في قبرها، فاذكروا أيضا ما كان يذكره على الدوام إذ يذكر الحرية في سجنها.

الإمام الشهيد يخاطب المسلمين

أسس نهضة العرب والمسلمين

الطريق من هنا

(الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا).

الأمة الإسلامية تحمل رسالة الله لعباده، وتحرس أمانته في أرضه، أمانة المثل العليا والأخلاق الكريمة والأوضاع السليمة، التي تقوم على العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

وقد أخذ الله العهد والميثاق على هذه الأمة التي اجتباها وما جعل عليها في الدين من حرج، وجعلها أمة وسطا هي خير أمة أخرجت للناس أن تبلغ رسالة الله لعباد الله وألا تقصر في هذا التبليغ بحال من الأحوال، وأن تحفظ هذه الأمانة القدسية وتحميها من كل اعتداء، وأن تبذل في سبيل هذا التبليغ وهذه الحماية كل ما تملك من أنفس وأرواح ودماء وأموال، وافترض عليها الجهاد بذلك كله في سبيل الله متى تعرضت رسالة الله وأماناته التي بين يدي هذه الأمة لبغى الباغين وعدوان المعتدين.

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ... (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون).

وحين وجه الله عباده المؤمنين برسائله الحافظين لحدوده، هذا التوجيه الرباني الكريم القويم، غشاهم السكينة، وألقى في قلوبهم الطمأنينة، وجللهم برداء الإيمان وثبتهم بمداية اليقين، فلم يرهبوا أحدا، ولم يخافوا شيئا، ولم يقصروا في واجب ولم يحسبوا حسابا لقله أو كثرة أو عدد أو عدة، وحسبهم أنهم آمنوا وأصدق الإيمان بأن الله سينصرهم وأنه إن نصرهم الله فلا غالب لهم (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل).

في هذا الطريق سارت هذه الأمة شوطا بعيدا، آمنت برسالة الله وأمانته، واجتهدت في التبليغ عذرا أو نذرا، وامتشقت الحسام حماية للعدل والرحمة والحق من أن تضع في حلبة الظالمين وضوء المعتدين وحقق الله لها وعده فنصرها نصرا مؤزرا. اليوم وقد ران على قلوب الناس ما كانوا يكسبون من إثم وفساد وبغي وعناد، وضلت الإنسانية كلها سواء السبيل، وتألقت قوى الشر على ما بقي من بقية الخير، وتقمص إبليس عصابات الصهيونية الشريرة ومن ورائها اليهودية العالمية الفاجرة ومعها دول الكفر وأمم الاستعمار الظالمة المعتدية الباغية.

الآن علينا نحن المسلمون في كل أقطار الأرض، أن ندرك خطأنا وأن نعدل خط مسيرنا، وأن نبدأ الطريق التي سلكها أسلافنا من جديد، نكفر بهذه النظم جميعا ونقاطع هذه الضلالات كلها، ونؤمن بالله ربا قويا قديرا جبارا قهارا لا يعجزه شيء لأن بيده ملكوت كل شيء، (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .. ونؤمن برسالة الله التي بين أيدينا نظاما اجتماعيا ربانيا لا عوج فيه ولا أمتا، وتتجمع من حول هذه الرسالة من أقصى المحيط إلى أقصى المحيط، من إندونيسيا المسلمة إلى الدار البيضاء المسلمة كذلك، ونعلن الجهاد لله وللحق والعدل وللإحسان على هذا البغي الذي عم وطم وجاوز التقديرات والحدود واكتوينا بناره وجحيمه وسيصلي العالم كله عن قريب ما لم تتغير الحال لهيب جهراته وحميمه، وإن قضينا قضينا شهداء كرماء قل هل تربعون بنا إلا إحدى الحسينيين ونحن تربع بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا. ولا بد من النصر ما دمنا صادقين ولينصرون الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز.

دعائم النصر

أردت كتابة حديث اليوم وأنا مشغول الفكر بهذا الموقف الحائر الذي تفقه الحكومات والشعوب الإسلامية في هذا الوقت الذي أن فاتها فيه العمل فلن تعمل بعده أبدا، وبخاصة موقف الحكومة المصرية وقد وضحت أمامها معالم الطريق، فتذكرت الآية الكريمة: (ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما).

ولا شك أننا عزل ضعفاء من حيث قوة المادة والسلاح والعتاد، ولا شك أيضا أن خصومنا كذلك قد نهكتهم الحرب، وأكلت منهم الأخضر واليابس وأثقلتهم بالدين، والحت عليهم بالجوع والخوف، ودمرت المدن والقرى، وحطمت النفوس والجسوم، فهم يألمون كما نألم، بل فوق ما نألم!

ولكننا أقوىاء بحقنا، وهم ضعفاء بباطلهم وعدوانهم، والله تبارك وتعالى معنا لأننا أصحاب حق، وهو سبحانه عليهم لأنه عدو المبطلين، ولا يصلح عمل المفسدين، ولهذا نحن ونرجو من الله ما لا يرجون، وكان الله عليما حكيما.

وفي كل أدوار التاريخ، وتطورات الأمم والحوادث، ما التقى الحق والباطل إلا خذل الباطل وأهله، وانتصر الحق وأصحابه: (وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا) ... (بل نقذف بالباطل على الحق فيدمغه فإذا هو زاهق) ... (كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

لقد أمر القرآن المؤمنين به أن يعتدوا لخصومهم، وأن يجهزوا ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل، يرهبون به عدو الله وعدوهم، وشدد الوصية أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحد، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم).

ولقد وعد الله عباده المؤمنين جميل المثوبة على هذا الاستعداد في كتابه، وعلى لسان رسوله الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فالسهم يثاب فيه ثلاثة: صانعه، وحامله، والرامي به، ومن رمى بسهم يتدرب بذلك، فهو في سبيل الله، ومن احتبس عدة أو فرسا في سبيل الله، فهي في ميزانه كل يوم حسنة.

ومع هذا التشديد البالغ في أخذ الأهبة وإعداد العدة، فقد لفت القرآن الكريم أنظار المؤمنين إلى عدة أشد وأقطع، وأقوى وأمنع، وهي تأييد الله ومناصرته، ومعونته ومؤازرته: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ... (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب، يخربون بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار)، فهما عدتان، إن عزت علينا إحداهما كاملة، فلن تفوتنا الأخرى ولها الكلمة الفاصلة.

إننا ننصح للحكومات العربية والإسلامية، وبخاصة حكومتنا المصرية، إن تعزم أمرها، وألا تنهيب غيرها، وأن تجابه بالحق الصريح من غير تردد، وأن تصغى في شجاعة وإيمان وتصميم إلى توجيه القرآن الكريم (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب. فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين).

وحدة

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين).

أعتقد أن سلفنا الصالحين رضوان الله عليهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من سعادة في الدنيا ومثوبة في الآخرة سجلها لهم الحق تبارك وتعالى في كتابه بقوله: (فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) بأمرين اثنين أساسيين:

أولهما: قوة إيمانهم بالله تبارك وتعالى وحسن اعتمادهم عليه، وجميل استمدادهم منه وإستنادهم إلى تأييده، وأملهم في نصره، واعتزازهم بهذه العزة الربانية المستمدة من الإيمان (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)، فكان أحدهم إذا تكلم أو عمل أو جاهد أو اغترب أو أقام، شعر بأن الله معه أينما كان، يراه ويراقبه ويحفظه ويؤيده، (وما تكون من شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه)، (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين).

وثانيهما: شدة تماسك بنيانهم وقوة رابطة جماعتهم، قوة أساسها صفاء القلوب ونقاء السرائر وتقدير معنى الوفاء والشعور بقدسية الأخوة، وإشراق القلوب بمشاعر الحب في الله إشراقا سما بها إلى معنى الإيثار (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)، حتى كان الرجل منهم يؤثر أخاه بماله وأهله وقوته وحياته وكل ما يمتلك.

بهذين المعينين، انتصر هؤلاء النفر من السلف الصالحين مع قلة عددهم، وضعف عددهم وتجردهم من كل عوامل المنافسة لغيرهم ممن كانوا أوسع منهم سلطانا وأكثر أموالا وأوسع عمراناً، ولكن الإيمان والحب هما ولا شك أقوى عدد النصر، وهكذا كانوا، وصدق الله العظيم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً).

ولقد كنت ولا زلت أقول للإخوان في كل مناسبة: إنكم لن تغلبوا أبداً من قلة عددكم، ولا من ضعف وسائلكم، ولا من كثرة خصومكم، ولا من تألب الأعداء عليكم، ولو تجمع أهل الأرض جميعاً ما استطاعوا أن ينالوا منكم إلا ما كتب الله عليكم، ولكنكم تغلبون أشد الغلب وتفقدون كل ما يتصل بالنصر والظفر بسبب، إذا فسدت قلوبكم ولم يصلح الله أعمالكم، أو إذا تفرقت كلمتكم واختلقت أراؤكم، أما مادمتم على قلب رجل واحد متجه إلى الله تبارك وتعالى، آخذ في سبيل طاعته، وسائر في نهج مرضاته، فلا تهنوا أبداً ولا تحزنوا أبداً وأنتم الأعلون، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

لا بد من جهاد طويل مرير شاق متواصل، ولن يكون هذا إلا بوحدة كاملة وأخوة شاملة وشعور جامع يضم القلوب إلى القلوب والجهود إلى الجهود، واستقامة مع ذلك على مناهج الحق، واتجاه سليم صحيح إلى معالم الخير، ويوم يكون هذا فلن تقف عقبة واحدة في طريقنا ولا بد أن نصل في أقرب وقت بإذن الله إلى حقنا، إيمان وحب .. تتألف منهما وحدة حقيقية هي أشد ما نحتاج إليه الآن، فهل إليهما من سبيل؟

اللهم ألهمنا رشدنا، ووفقنا واهدنا، وأنت نعم المولى ونعم النصير.

إيمان

(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات والذي فطرنا، فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر، والله خير وأبقى).

وقف الحق الأبلج الأعزل أمام الباطل القوي المسلح يجابهه ويطارده ويتحداه، ووقف نبي الله موسى المبعوث من عند الله، أمام فرعون الجبار المتجبر على عباده يخاطبه، فهي إذا دعوة الحرية، وأي حق أوضح وأعز من الدعوة إلى الحرية والمساواة والعدالة والإنصاف، وترك الناس أحرارا كما ولدتهم أمهاتهم يمشون على الأرض أعزة، ويتبعون من فضل الله.

وما كان فرعون ليستجيب لهذه الدعوة العزلاء وإن كانت حقا (فحشر فنأدى، فقال أنا ربكم الأعلى) واستكبر هو وجنوده في الأرض وقال لقومه (ما علمت لكم من إله غيري) وأرسل في المدائن حاشرين، ليعثوا إليه بكل ساحر عليم.

وجاء السحرة وفي قلوبهم غيظ، وفي أفئدتهم حقد، وفي نفوسهم طمع، وفي أعينهم تطلع إلى المال الوفير يبذله فرعون الغني بسخاء، وإلى الجاه العريض يمد لهم فيه ما استطاع، ولم يخيب هو ظنهم، ولكن مد لهم فيه مدا، وحين قالو: (أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين)؟ قال: (نعم وإنكم لمن المقربين)، وهم يصدقون وعده، ويؤمنون كل الإيمان بقدرته وقوته وجبروته: (فألقوا جبالهم وعصبيهم وقالوا بجزء فرعون إنا لنحن الغالبون).

وخيل للنبي الكريم من سحرهم أنها تسعى، فأوجس في نفسه خيفة موسى. ولكن السكينة التي ثبت الله بها أفئدة أوليائه ساعة العسرة تنزلت عليه ونودي من سرادقات الجلال: (لا تخف إنك أنت الأعلى)، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى.

وكأنا اتصل بهذه العصا قيس من نور الإيمان الحق، وشعاع من سناه، لامس هذه الأفئدة، أو فاض عليها سيب من رحمة الله ونعمته، فغشي هذه القلوب: (ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم).

وفي النفس المصرية رقة ولين، وفي الصدر المصري منذ فجر التاريخ تقوى ودين، وكأنا لفتت العصا المباركة مع ما لفتت من حبال وعصي، أدران الشرك والشك، وأزاحت حجب الغفلة والرين عن هذه القلوب، ووصلتها بجبل الإيمان المتين، وأشرقت عليها بنوره المبين: (فألقي السحرة ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون).

وجن جنون فرعون، وذهب بلبه الغضب، فكال لهم التهم وقال: (إنه لكبيرهم الذي علمهم السحر وأنه لمكر مكروه في المدينة ليخرجوا منها أهلها) وتهددهم بالعذاب المهين، والعقاب الشديد الأليم: (فألقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، لأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى).

وأني لهذا التهديد والوعيد أن يصل إلى قلوب صرفتها حلاوة المعرفة عن الآمال والآلام إلى مرضاة الله العلام، وهل يذهب خوف المخلوقين بخشية رب العالمين من قلوب العارفين، متى سبقت لهم السعادة فأصبحوا بنعمة الله من المؤمنين؟!

لذا كان جواب هؤلاء الأصفياء الأقوياء: (لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات والذي فطرنا، فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر، والله خير وأبقى).

لقد كان هؤلاء يعيشون قبل هذه اللحظة في حدود من شهوات الدنيا الفانية، ومطالبها الهزيلة، ولذاتها الحقيرة، أما بعد أن خالط الإيمان شغاف هذه القلوب، وأدركوا بعين البصيرة سر هذا الوجود، فقد وزنوا بكفتين وقارنوا بين حياتين، فأثروا الباقية على الفانية،

واختاروا ما عند الله على ما عند أنفسهم (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى)، ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء من تزكى).

فيا أيها المؤمنون بالله واليوم الآخر، هكذا الإيمان الحق، اعتقاد صادق يهب المشاعر والوجدان، ويستولي على القلب والجنان، وينتج صدق اللسان، والعمل بالأركان، وحشية الواحد الديان، وألا يهرب المؤمن أحداً في الحق إلا الله، وأن تصغر في نظره الدنيا حتى لا تساوي عنده قلامة ظفر، ولا تقعه عن قولة حق. فهل أنتم مؤمنون؟.

تجرد

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين).

الناس رجلان: رجل يعمل ما يعمل من الخير، أو يقول ما يقول من الحق، وهو يبتغي بذلك الأجر العاجل، والمثوبة الحاضرة، من مال يجمع، أو ذكر يرفع، أو جاه يعرض ويطول، أو لقب ومظهر يصول به ويجول: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب).

ورجل يعمل ما عمل ويقول ما يقول، لأنه يحب الخير لذاته كذلك، ويعلم أن الدنيا لا يستقيم أمرها إلا بالحق والخير، وأن الإنسان لا تستقيم إنسانيته كذلك إلا إذا رصد نفسه للحق والخير: (والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)، ولأنه يحب الله ويخشاه ويرجوه، ويقدر نعمته عليه في الوجود والقدرة والإرادة والعلم، وسائر ما منحه إياه، ففضله بذلك على كثير ممن خلق تفضيلاً، وهو يعلم أن الله قد أمر بالخير فقال: (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)، وأوصى بالثبات على الحق فقال: (فتوكل على الله إنك على الحق المبين)، فهو لهذا يرجو ما عند الله، ويبتغي بقوله وعمله مرضاته وحده، وقد يرتقي به هذا الشعور فيرى أن كل ما سوى الله باطل، وكل ما عداه زائل، فمن وجده فقد وجد كل شيء، ومن فقد شعوره بربه فقد كل شيء، فهو لهذا لا يرى أحداً غيره حتى يولي إليه وجهه، أو يصرف نحوه حقه وخيره: (ففرؤا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين) (وإن إلى ربك المنتهى)، أو لأنه يعلم أن هذه الدنيا فانية زائلة، وكل ما فيها عرض حقير، من ورائه حساب عسير، وأن الآخرة هي دار القرار، فهو يزهّد كل الزهادة في الجزاء في هذه الدنيا، ويرجوه في الآخرة، فالمال إلى ضياع وإلى ورثته، والجاه إلى تقلص ونسيان، والعمر إلى نفاذ وانقضاء مهما طال: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق والآخرة خير وأبقى)، وهو يرجو المثوبة نعيماً في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ومن الناس قسم ثالث يود أن يأخذ من هذه وتلك، وقلما يستقيم له الأمر، فهما ضربتان إن أرضيت إحدهما أغضبت الأخرى، وكفتنا ميزان إن رجحت واحدة شالت واحدة، على أن المقطوع به، أنه من أراد الدنيا وحدها خسر الآخرة، ومن أراد الآخرة حازهما معاً، وصح له النجاح فيهما جميعاً، ومن خلط بينهما كان على خطر عظيم: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً).

ومن هنا أثر الصالحون من عباد الله في كل زمان ومكان أن يتجردوا للغايات العليا، ويصرفوا نياتهم ومقاصدهم وأعمالهم وأقوالهم إلى الله حل وعلا، متجردين لذلك من كل غاية، متخلصين من كل شهوة: (ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء).

ومن هنا قرأنا قصة ذلك الذي عشر على حق من الجوهر الغالي الثمين في القادسية، فقدمه إلى الأمير طائعا، فعجب من أمانته، وقال: "إن رجلاً يتقدم بمثل هذا لأمين، ما إسمك حتى أكتب به إلى أمير المؤمنين فيجزل عطاءك، وينبه اسمك؟"، فقال الرجل: لو أردت وجه أمير المؤمنين ما جئت بهذا، وما وصل علمه إليك ولا إليه، ولكن أردت وجه الله الذي يعلم السر وأخفى، وحسي علمه ومثوبته. انصرف ولم يذكر اسمه، وآثر ما عند الله على ما عند الناس.

وأمثال ذلك كثير في تاريخنا الزاخر. بمعاني التجرد للخير والحق والعمل الصالح ابتغاء مرضاة الله.

فهل تستقيم النفوس على هذا النهج القويم؟ اللهم آمين.

أيها العرب أثبتوا للمحنة فإن النصر مع الصبر؟

أيها العرب ماذا تخشون؟

أتخشون أن تتألب عليكم الشعوب الطامعة وتهضم حقاكم الحكومات الجائرة وتجتمع كلمة الأمم المختلفة على مناوأتمكم ويقول أعضاء مجلس الأمن كلمتهم في غير صفكم ويفرضون عليكم العقوبات الاقتصادية أو يسوقون إليكم القوات العسكرية؟ أتخشون هذا؟ ولكم في سلفكم أحسن الأسوة وأكرم القدوة .. (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم).

إن بين الهزيمة والنصر صير ساعة، ولن تتقدم فيها آجال أراد الله أن تتأخر، ولن تتأخر فيها أعمار شاء الله لها أن تنقضي (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)، وإنما مواقف الكرامة ومعالم البطولة والشهامة يمتحن الله بها عباده الصادقين ليبتلي ما في قلوبهم ويمحص ما في صدورهم والله عليهم بذات الصدور.

قال معاوية: لقد هممت أن انهزم لولا أني ذكرت قول القائل:

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويجك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت فما نبيل الخلود بمستطاع

فثبت، فدفع الله عني عار الهزيمة وخزيبها.

فصبرا في مجال الموت صبرا أيها الأبطال من أبناء يعرب، حتى يفتح الله بينكم وبين الناس بالحق وهو خير الفاتحين (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

والله الذي لا إله إلا هو لن تغلبوا من قلة، فأنتم كثير كعديد الطير، ولن تغلبوا من فقدان عدة، فإن معكم قوة الله التي لا تغلب وجنده الذي لا يهزم (وما يعلم جنود ربك إلا هو والله جنود السموات والأرض والله عزيز حكيم)، ولكنكم تغلبوا من إمرين اثنين، إن تختلفوا وتتنازعا فتفشلوا وتذهب ربحكم، أو أن تفسد النيات وتلتوي المقاصد وتحل الدنيا في قلوبكم محل الآخرة، فيتأخر عنكم النصر والتأييد الرباني والمدد الإلهي، ولا ينفعكم بعد ذلك شيء (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

فيا أيها العرب أثبتوا للمحنة، فإن النصر مع الصبر، واجمعوا كلمتكم وأخلصوا نيتكم وطهروا قلوبكم واستقيموا على أمر الله ولا ترهبوا بعد ذلك أحدا، ولا تنزلوا على حكم الكافرين من كانوا ولا تعبأوا بتهديد أو وعيد، وكونوا لله يكن الله معكم (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).
والله أكبر والله الحمد.

أيها العرب والمسلمون اسمعوا وتدبروا واعتبروا وصدق الله العظيم ... (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)، وأن آيات الكتاب الكريم لأثبت من المعادلات الرياضية التي لا تخلف نتائجها ولا تضطرب أرقامها، ومن أصدق من الله قيلا. وهذه هي قواعد النصر الست في هذه الآيات الكريمة:

1- الثبات: فإن المؤمن لا يتزعزع ولا يتردد ولا يهن ولا يضعف أبدا لأنه لا ينتظر إلا إحدى الحسينين، الشهادة أو النصر، ولا يتوقع إلا ما كتب الله له، ولو أن أهل الأرض جميعا اجتمعوا على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وأنه مأجور على ما يلقي من ذلك كله، وأشد ما يحرص عليه الناس آجالهم وأرزاقهم، وأشد ما يدعوهم إلى التردد والضعف، الخوف على هذه الأعمار أن تقصر بالموت، والخشية على هذه الأرزاق من أن تنقص بالنفقة، والمؤمن واثق تمام الثقة أن الأجل والرزق بيد الله وحده لا سلطان عليهما لأحد غيره، فقيم التردد والخوف والضعف والوهن .. إن المؤمن ثابت لا يلين، قوي لا يضعف، وكثيرا ما كان الفرق بين الهزيمة والنصر ساعة من ثبات (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين).

2- وذكر الله تبارك وتعالى: وهو أمان الخائفين وأمل اللاجئين، والمؤمن يعلم تمام العلم ويوقن أعمق اليقين، بأن قدرة الله أعظم القدر، وأن قوة الله أجل القوى، وأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فإذا أحاطت به عوامل اليأس، وهتفت به هواتف الهزيمة من كل مكان، وأحدقت به قوى الأعداء من كل جانب، ذكر صادقاً أن وراء ذلك كله قوة القوي القدير العلي الكبير، الذي له ملك السموات والأرض، ومن فيها جميعاً عباده، بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، له مقاليد السموات والأرض وما يعلم جنود ربك إلا هو، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

فماذا عسى أن ينال من نفسه تهويل المهوليين، أو قوة المتكاثرين أو عدة المعتدين؟، لا شيء أبداً (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل).

3- وطاعة الله ورسوله: فلا قتال إلا لغاية، ولا عمل إلا في حدود، وإذا كانت الغاية مرضاة الله ورسوله، وإذا كانت الحدود حدود الله ورسوله وما وضع العليم الخبير لعباده من نظم ومناهج وأحكام وقواعد تبصرهم بالخير وتأمروهم به، وتحذروهم من الشر وتنهاتهم عنه، كانت تلك ولا شك أنبل الغايات وأشرف المقاصد يهون في سبيلها البذل، ويطيب من أجلها الكفاح (والذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً).

4- الوحدة والإخاء في العاطفة والقيادة والجنديّة والقول والعمل والشعور والروح والمقصد والغاية .. الوحدة في كل شيء هي أساس القوة وملاك العز، وما تفرق قوم إلا ضعفوا، وما اختلف نفر إلا ذلوا، والوحدة صميم الإيمان، والفرقة معنى من معاني الكفر (إنما المؤمنون إخوة).

5- الصبر: وهو أصل الثبات، فلا ثبات إلا للصابرين، والثبات مظهر وعمل، والصبر عاطفة وخلق، والصابرون يوفون أجرهم يوم القيامة بغير حساب .. في الدنيا بالصبر والنصر، وفي الآخرة بالثوبة والأجرة، (وبشر الصابرين)، (واستعينوا بالصبر والصلاة)، (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

6- تصحيح النية وطهارة المقصد: فلا يكون الغرض عدواناً على أحد، أو إبطالاً للحق أو إخفاقاً لباطل، أو تحملاً على آمنين أو اغتصاباً لآخرين، بل يكون دفاعاً مشروعاً أو نجدةً لمظلوم أو حمايةً للمثل العليا أن تنتهك حرمتها، ولقواعد العدالة والإنصاف أن تنتهدم بفعل المطامع والشهوات (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط).

أيها العرب والمسلمون ...

في هذا الوقت العصيب الذي تدفقت فيه عليكم قوى الشر من كل مكان، فتألب الشرك بقضه وقضيضه عليكم في الهند، وتألبت الصهيونية العالمية بعددها وعددها عليكم في فلسطين، ووقفت دول الاستعمار الباغية المخادعة ترمق المعركة لتفتتسم الأسلاب، وتلقي في النار بالوقود لتزداد اشتعالاً حتى تأتي على الأخضر واليابس ورأيتم مصداق قول الله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ..).

في هذا الوقت أيها العرب والمسلمون يجب ألا تياسوا ولا تهنوا ولا تحزنوا، فقد وعدكم الله النصر ولا شك في موعوده متى عرفتم قواعده، وأقمتم دعائمه، وأخذتم في أسبابه وعرفتم كيف تحققون هذه الأمور الستة.

الثبات ... وذكر الله ... وطاعة الله ورسوله ... والوحدة ... والصبر ... ونبل المقصد.

والله معكم، ومن كان الله معه فلن يغلب أبداً ... والله أكبر والله الحمد.

تصحيح المفاهيم

في الدين

تحريف وتصحيح

إن غير المسلمين حينما جهلوا هذا الإسلام أو حينما أعياهم أمره، وثباته في نفوس أتباعه، ورسوخه في قلوب المؤمنين به، واستعداد كل مسلم لتفديته بالنفس والمال ... لم يحاولوا أن يجرحوا في نفوس المسلمين اسم الإسلام ولا مظاهره وشكلياته، ولكنهم حاولوا أن يحصروا

معناه في دائرة ضيقة تذهب بكل ما فيه من نواح قوية عملية، وإن زكت للمسلمين بعد ذلك قشورا من الألقاب والأشكال والمظهريات لا تسمن ولا تغني من جوع!!

فأفهموا المسلمين أن الإسلام شيء والاجتماع شيء آخر، وأن الإسلام شيء والقانون شيء غيره، وأن الإسلام شيء ووسائل الاقتصاد لا تفضل به، وأن الإسلام شيء والثقافة العامة سواء، وأن الإسلام شيء يجب أن يكون بعيدا عن السياسة!! فحدثوني بربكم .. إذا كان الإسلام شيئا غير السياسة وغير الاجتماع وغير الاقتصاد وغير القانون وغير الثقافة ... فما هو إذن؟! أهو الركعات الخالية من القلب الحاضر؟! أم هذه الألفاظ التي هي كما تقول رابعة العدوية: "استغفار يحتاج إلى استغفار" ألهذا أنزل القرآن نظاما شاملا محكما مفصلا (تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون).

هذا المعنى المتضائل لفكرة الإسلام، وهذه الحدود الضيقة التي حدد بها معنى الإسلام، هي التي حاول خصوم الإسلام أن يحدوها فيها المسلمين وأن يضحكوا عليهم بأن يقولوا لهم: لقد تركنا لكم حرية الدين، وأن الدستور لينص على أن دين الدولة الرسمي هو: الإسلام!!

في السياسة

سياسيون

يقول قوم: إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون، ودعوتهم دعوة سياسية، ولهم وراء ذلك مآرب أخرى...! ولا ندري إلى متى تتقارض أمتنا التهم، وتتبادل الظنون وتتناز باللقاب، وتترك يقينا يؤيده الواقع في سبيل ظن توجيه الشكوك. فيا قومنا: إننا نناديكم بالقرآن في يميننا، والسنة في شمالنا، وعمل السلف الصالح من أبناء هذه الأمة الصالحة قدوتنا. ندعوكم إلى الإسلام، وتعاليم الإسلام، وهدى وأحكام الإسلام ... فإن كان هذا من السياسة عندكم .. فهذه هي سياستنا .. وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيا .. فنحن أعرق الناس والحمد لله في السياسة ..! وإن شئتم أن تسمو ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات، وانكشفت الغايات. يا قومنا: لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجواهر .. إن الإسلام لسياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة، وتلك هي سياستنا لا نبغي لها بديلا ، فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية ... (ولتعلمن نبأه بعد حين).

الحكومة الإسلامية

يفترض الإسلام الحنيف "الحكومة" قاعدة من قواعد النظام الإجتماعي الذي جاء به للناس. فهو لا يقر الفوضى، ولا يدع الجماعة الإسلامية بغير "الحاكم" ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: (إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه) .. وقال: (وإذا كنتم ثلاثة فأمرؤ عليكم رجلا) .. فمن ظن أن الدين أو عبارة أدق "الإسلام" لا يعرض للسياسة، وأن السياسة ليست من مباحثه .. فقد ظلم نفسه، وظلم عمله بهذا الإسلام، ولا أقول ظلم الإسلام، فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحميل قول الإمام الغزالي رضي الله عنه: (إعلم أن الشريعة أصل والملك الحارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع) فلا تقوم الدولة في الإسلام إلا على أساس الدعوة، حتى تكون الدولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية الدولة .. تحتضنها وتنشرها وتبلغها وتقويها.

وأول خطأنا أننا نسينا هذا الأصل ففصلنا الدين عن السياسة عمليا، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظريا، فنصننا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمي الإسلام، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة من أن يفسدوا الذوق الإسلامي في الرؤوس، والفترة الإسلامية في النفوس، والجمال الإسلامي في الأوضاع إعتقادهم وإعلامهم وأعمالهم، على أن يباعدوا دائما بين الدين ومقتضيات السياسة وهذا أول الوهن، وأصل الفساد وبلاء التقليد الأعمى الذي لا خير فيه.

حقوق الأمة قبل حقوق الحاكم

ومن حق أمة الإسلام، أن تراقب الحاكم أدق المراقبة، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير .. وعليه أن يشاورها، وأن يحترم إرادتها، وأن يأخذ بالصالح في آرائها، وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال: (وشاورهم في الأمر)، وأثنى به على المؤمنين خيرا فقال: (وأمرهم شورى بينهم)، ومضت على ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والمهتدين من بعدهم، فكانوا إذا جاءهم أمرا جمعوا أهل الرأي من المسلمين، فاستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم ليندبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه، فيقول أبو بكر رضي الله عنه: (فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدوني أو قوموني). ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من رأى في أوجاجا فليقومه.

في الاقتصاد

لم يحتقر الإسلام المال، ولم يزهده في الثروة ولم يجرم الطيبات .. بل اعتبر المال من نعم الله الواجبة الشكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم المال الصالح للرجل الصالح). واستعاذ من العجز والفقر وقرنه بالكفر فقال: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر) .. وحث بعد ذلك على العمل والكسب واعتبر ذلك قربة من الله تؤدي إلى حبه وإلى مثوبته ومغفرته فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب المؤمن المحترف). وقال: (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له)، وحرّم السؤال والاستجداء لما في ذلك من ذلة وهوان. ولن يستشعر أحد العزة والكرامة ويتذوق طعم الحياة الكريمة إلا إذا شبع بطنه واستغنى عن غيره، وتوفرت له ضروريات حياته، ولذا فإن الإسلام لم يهمل المعاني الاقتصادية ولم يغفل قواعد الإصلاح المالي، بل وضع لها أفضل الأسس التي تنمي ثروة الأمة أفرادا وجماعات وترفع مستوى المعيشة، وتقرب بين الطبقات، وتؤمن الجميع على أنفسهم وذرايهم وأولادهم، وتضمن لهم العدالة الاجتماعية الصحيحة، وتوفر الفرص المتكافئة للجميع على السواء.

المرأة في القرآن الكريم

نحمد الله تبارك وتعالى، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين: أيها الإخوان: أحييكم بتحية الإسلام تحية من عند الله طيبة مباركة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته، موضوع حديث الليلة .. أيها الإخوة الأحباب .. عن المرأة في القرآن الكريم .. وكنا قد بدأنا في سلسلة نظرات في القرآن الكريم .. كتاب الله تبارك وتعالى .. فطالت بنا هذه السلسلة وأولى بها أن تطول .. فإن كتاب الله تعالى خير كله، وإن القارئ ليجد نفسه في رياض يانعات .. يقتطف منهن .. ويعجبني أيها الإخوة في هذا المعنى، قول سيدنا عبد الله بن مسعود: (إذا قرأت في "ال حم" نزلت من روضات يانعات).

إن كتاب الله تبارك وتعالى بما انفرد به من هذا الأسلوب العجيب مزج غريب لا يمكن إلا أن يكون في كتاب الله .. المنطق الدقيق في أروع صور الخطايبات يعالج به أحف الموضوعات .. فإذا بالمرء أمام مجموعة من أقوى المجموعات المنطقية ...

أيها الإخوان .. إن من يقرأ تاريخ الأمم، يجد أن الناس قد اختلفت نظرهم إلى المرأة اختلافا يدعو إلى العجب والدهشة .. فيجد أن منهم مثلا من كان يعتبرها رقيقا، وأن منهم من كان يعتبرها من سقط المتاع .. ومن الناس من لم ير المرأة إلا ملهاة وملعبة، وينطبق ذلك حتى في نظرة الناس في الأمم الحديثة التي تدعي أن أعظم مفاخرها الرقي والنهوض بالمرأة واستكمال حقوق المرأة، حتى هذه الأمم نفسها لم تبلغ المرأة ومكانة المرأة الحد الذي تنال فيه بالفعل حقها الصحيح .. أو تكون في وضعها الصحيح، وتعجبون أيها الإخوة .. أن المجتمع العربي كان خليطا في نظره وحكمه على المرأة .. ففي الوقت الذي كانت فيه بعض قبائل العرب تعتبر أن المرأة إنسان له حق إنسانيته .. فتأخذ برأيها في بعض الأحيان وتستشيرها وتدع لها حرية الاختيار في بعض الأحيان، وهناك أمثلة على ذلك ... فهذا شماس بن لأي .. شيخ قبيلة من قبائل

العرب قد هجاء أحد الشعراء وأقذع في هجائه له، وعندما وقع في يده هذا الشاعر، أراد أن يقتله، ودخل على أمه مستبشرا، فقالت له: لقد رأيت في وجهك علائم البشر، فقال لها: أجل يا أماه .. فلقد ظفرت بالشاعر الذي هجاني، فقالت: وماذا أنت فاعل به؟ فقال لها: لسوف أقتله طبعاً .. قالت له: وأين سداد رأيك ورجاحة عقلك يا ابن لأي؟ شاعر قال فيك ما قال وسار قوله في الناس، فمن يا ترى يححو هذا الهجاء قال: وماذا أفعل؟ قالت: أكرمه يا شماس، أكرمه ودعه بمدحك، فهو الذي يمسخ ما هجأك به وإلا فلا محو لما لصق بك من هجائه أهد الدهر .. وبالفعل نفذ شماس بن لأي وصية أمه نزولاً على رأيها وهي لم تكن سوى امرأة.

أيها الإخوان ... نقول في الوقت الذي كان للمرأة في بعض القبائل مثل هذا التصرف والرأي، كانت بعض القبائل تند البنات .. وتحجز النساء في البيوت حجزاً قاسياً شديداً، وكانت شرائع العرب في تصورهما للمرأة ومكانتها شرائع مختلفة ومتباينة. لذلك فمن العجيب حقاً، أن يأتي القرآن الكريم بنظرة هي غاية السمو والرقي الاجتماعي .. لتضع الأمور في وضعها الصحيح .. ولتعالجها بجرأة وقوة.

الأسس النظرية

هذه القضية أيها الإخوان .. قضية إنسانية بالدرجة الأولى .. عالجها القرآن الكريم علاجاً فيه الثقة والصراحة والجرأة والحق ... يقول الله تبارك وتعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً) .. فهذه الآية الكريمة .. أيها الإخوة .. تقص علينا في وضوح بالغ أن أصل الجنس البشري كله واحد .. هذا الجنس يعود إلى نفس واحدة .. وهذه النفس الواحدة قد خلق منها زوجها، فالرجال والنساء أصلهما نفس واحدة .. ومن هنا نجد أخي أن الإسلام قد وضع هذه القضية على أساس الوحدة .. فالمرأة والرجل من أصل واحد .. ومن معدن واحد .. (بعضكم من بعض)، فالأساس في هذه القضية هو التسوية.

وفي سورة الشورى .. يقول الله تبارك وتعالى: (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً، إنه عليم قدير) .. فنجد يا أخي أن الله تبارك وتعالى قد بدأ بالإناث، وجعلهن هبة يهبهن من يشاء من خلقه، وجعل الذكور كذلك هبة من عنده سبحانه، ويعطي ذكورا وإناثاً لمن يشاء فسواء كان النسل إناثاً أو ذكورا أو خليطاً من إناث وذكور .. فهو فضل الله وهبة من الله، وإذا تأملنا في ترتيب ذكر الإناث والذكور نجد يا أخي أن البدء بالإناث قد جاء لإزالة شبهة الانتقاص.

وفي آية ثالثة يقول الحق تبارك وتعالى: (بعضكم من بعض) .. ولا تقف التسوية عند هذا المعنى العام، بل تتعداه إلى التسوية في الأحكام العملية أيضاً .. فتجد يا أخي الآية الكريمة تقول: (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً)، (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) .. هنا نجد أن الحق تبارك وتعالى قد أثبت أن الأصل الذي يرجع إليه الرجل والمرأة أصل واحد .. وأن القيمة العامة في الحاسبة وفي التكليف قيمة واحدة.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم .. تسمع يا أخي قول الله تبارك وتعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .. وإذا تأملنا المعنى الكريم يا أخي .. سنجد أن هذا السكون بين الرجل والمرأة مقرر في وضع آخر، فأتت تقرأ في سورة الأعراف: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن إليها) .. والسكون فيه معنى الاستقرار والهدوء والستر .. ومادة (سكن) هذه مادة امتزاج وهي في الوقت نفسه خفيفة الحروف .. فهي أنسب ما يعبر عما بين الرجل والمرأة من الصلة، فالمرأة تحتتمي بزوجها قوة ومعاشاً، والرجل يحتتمي بما حبا معاشاً .. والقرآن الكريم يقرر هذا بأسمى ما يمكن أن يحمله تعبير، ويقرر أن هذا من آيات الله ومن نعمه تعالى ومن فضله: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .. وبهذه الأسس النظرية نجد أن القرآن الكريم قد قضى على أوهام الأمم السابقة من أن المرأة ليست من طينة الرجل، وأنها ليست من جنسه، قضى القرآن على هذه الأوهام ونسفها نسفاً تاماً.

التطبيق العملي

أما من ناحية التطبيق العملي يا أخي .. فالرجل كائن .. والمرأة كائن .. وللرجل مهمته .. وللمرأة مهمتها، ونحن نجد أن الله تبارك وتعالى قد قرر في شأن تكوين الأسرة (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)، فقرر أن الأسرة دولة بينهما تتكون منهما،

القوامة فيها للرجل (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) ذلك يا أخي أنه لا بد من الهيمنة .. والسؤال هنا من أحق بالقوامة، الرجل أم المرأة؟ الرجل الجلد الحازم الذي يعيش بعقله، أم المرأة اللينة التي تعيش بعاطفتها تقلبها وإحساسها؟ لا شك أن الرجل هو الذي تسند إليه هذه المسئولية وهذا العبء وهذه المهمة .. هذا يا أخي هو الفارق بين الإسلام وبين المدينة الغربية .. في هذه القضية نجد أن الإسلام نزل على حكم الطبيعة والمنطق، فالإدارة فيه تحفظ للرجل لأنه أقدر على القيام بها وليس معنى ذلك الإستبداد أو الطغيان أو الظلم .. ويحزني هنا أيها الأحباب من طرائف سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أن "نافعا" رآه يقصص من ذقنه ما زاد على القبضة فقال: الله الله يا ابن عباس!! إن الناس يضربون إليك أكباد الإبل من أطراف الجزيرة يسألونك عن الدين والقرآن وتفعل ذلك؟ فقال ابن عباس ويحك يا نافع!! إني أفعل ما يأمرني به الله، فأترين لامرأتي كما تترين لي، فقال نافع: لتأنيبي من كتاب الله، فقال له (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) .. وبهذا المناسبة لعلنا ندرك أن الإغراق في الزينة ممقوت شرعا.

والواقع يا أخي أن القرآن الكريم حين حفظ للرجل حق القوامة على المرأة، لم يفعل ذلك انتقاصا لحق المرأة ولا محابة للرجل .. ولكن جاء هذا الحق لوضع الأمور في نصابها.

وجعل القرآن الكريم شهادة المرأة نصف شهادة الرجل .. فقال: (فاستشهدوا شهدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) .. في هذا الحكم المقرر يا أخي جاء القرآن مطابقا لحكم تكوين المرأة، وما تتميز به كأنثى تعيش بعاطفتها وقلبها وإحساسها الرقيق الذي يقبل التأثير بشدة، فالمرأة تتأثر بأسرع مما يتأثر الرجل، وتنسى أيضا بأسرع مما ينسى الرجل، وفي محاكم الغرب يقولون أن المحلفين حين يكون فيهم سيدات، وتأني قضية مؤثرة، تترك المحلفات قاعة الجلسة، ويجلسن يبكين من ظروف القضية المطروحة أمامهن، والتي يطلب منهن إصدار حكم فيها، وهذا البكاء يعني أنهن قد أصدرن الحكم بالفعل حتى قبل أن تكتمل الإجراءات القانونية. فسرعة التأثير يا أخي طبيعة واقعة مطلوبة في المرأة، ولذلك وضع الحق تبارك وتعالى ضمانا للشهادة أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى.

ومن ناحية التطبيق .. نجد بعض هذا يا أخي، أن القرآن قد أمر المرأة أن تغض بصرها، وأمر الرجل كذلك (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن)، فالحق تبارك وتعالى كما أوصى المؤمنين بهذه الوصية، أوصى النساء بنفس الوصية، ولما كانت المرأة موضع الرقة والمتعة والتزين، فقد أمرها بالحجاب (ولا يبدن زينتهن إلا لبعلتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهم أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) .. ثم يقول القرآن الكريم: (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .. فالإسلام يا أخي قد أمر المرأة أن تتستر بزينتها إلا عن هؤلاء المحارم على وجه التحديد كما هو واضح في الآيات الكريمة من كتاب الله تبارك وتعالى.

نتيجة عملية

القاعدة يا أخي .. أن بين المرأة والرجل سكونا وراءه من حكمة الحق تبارك وتعالى أن يوجد به الولد، وأن تعمر به الدنيا، وأن من يخرج عن هذه الحكمة يكون فاسدا في الأرض، لا بد من الفصل بين المرأة والرجل، فمن يحجز ومن يطلق .. الحجز للرفيق اللين الذي لا يحتمل، والإطلاق للقوي الجلد الذي ركب تركيبا يعينه على الكفاح والنضال .. فالإسلام لم يظلم، ولكن حفظ للمرأة عفتها وحقوقها، ونظم الاستقرار بين المرأة والرجل .. ولا تجد يا أخي شريعة أفسحت للمرأة من صدرها إلا الشريعة الإسلامية، حتى القانون الفرنسي لا يعتبر للمرأة الأهلية الكاملة في التصرف في مالها إلا بإذن زوجها، ولكن الإسلام منحها الأهلية الكاملة للتصرف في مالها.

وإذا ما جاء الإسلام بهذا القرار (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) .. فذلك يا أخي لأن هناك حكمة عالية جعل الله تبارك وتعالى بموجبها المرأة مكفولة النفقة، والرجل مطالب بالنفقة ولكن لأن لها قرابة، فيجب أن ترث، وتطبيقا للعدالة التامة تأخذ نصف نصيب الرجل.

وتلخيصا لما تناولناه في القضية .. أيها الإخوان .. أقول: إن الإسلام قد جعل المرأة قرينة الرجل في أصلها وفي وجودها وفي حقوقها العامة، وأقر الإسلام ما بينها وبين الرجل من رابطة، ثم وضع الحقوق العملية ووضع التشريعات الواجبة للتنفيذ للمرأة، على أساس يحفظ

كرامتها، ويضفي عليها خصائصها النسوية الأثوية، ثم أدبها الإسلام أكمل الأدب، وجعل نساء النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الكاملة (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء، أن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)، ثم إن الله تبارك وتعالى قد ألحق نساء المؤمنين بنساء النبي (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن).

وأنت تجد يا أخي أن الحق تبارك وتعالى قد جعل مضرب المثل للمؤمنين والكافرين من النساء (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل ادخلا النار مع الداخلين، وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) .. بعد هذا، ترى أخي هذا الجمع الظريف (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً).

الواقع يا أخي .. أن الإسلام ما اعتدى ولا طغى .. ولكن ساير طبيعة البشر وظروف الحياة .. كما خلقها رب الناس والحياة .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الإسلام والبيت

قيمة البيت

إذا كان الإسلام قد أصلح القلوب، ونظم الأوقات، وطهر الأموال، فإنه تعرض للبيت بالإصلاح ونفذ إليه بالتنظيم ورفرف عليه بالسعادة، فجاء يرغب المسلمين في حياة الأسرة ويحضهم على الاستقرار، ويحببهم في البيت ومن فيه، ويصفه بأنه نعمة كبرى من نعم الله. جاء سيدنا معاذ رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يوصيه، فقال عليه الصلاة والسلام: (يا معاذ أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك، وإبك على خطيئتك).

وليسعك بيتك: هذا المكان الطيب الآمن الذي فيه الزوجة والأبناء والأمهات والآباء، فيه الراحة بعد التعب، والسكون بعد الإجهاد، وإن متاعب الحياة لتزول في البيت المنتظم السعيد، وإن جراح الأحداث لتمر عليها يد الموااة الرخيمة في البيت المسلم، الذي هو عش الهناءة ومنبت الطهر، ومكان الوفاء ومهد العطف والتراحم، وقد تناول الإسلام تنظيم البيت بتنظيم الصلة بين أهله:

الزوج:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته). فمسئولية الزوج كراع في أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، تلقي عليه تبعات مادية وأدبية داخل البيت وخارجه. ففي خارج البيت: السعي على كسب ما يسد احتياجات البيت عن طريق شريف حلال، وبقدر يضمن الحياة الكريمة لمن في البيت. وفي داخل البيت: التوجيه والنصح، والتقويم والإشراف الكامل بحيث يلتزم جميع من فيه تعاليم الإسلام بكل جدية وصدق، وبهذا الإلتزام وحده يسعد كل من في البيت، ولا تتم هذه السعادة دون القدوة الحسنة من الأب والأم، ففاقد الشيء لا يعطيه.

الزوجة:

يقول الله تبارك وتعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من الزوجة الصالحة). فالزوجة الصالحة روح البيت، إليها تسكن النفس، وبها تنتظم الحياة، تقوم بتنظيم البيت، وتربية الأبناء وتنشئتهم على الفضيلة والحق والخير، وإن في أمانتها استقرار الحياة وفي عنقها طمأنينة الزوج، وفي فضيلتها نجابة الأولاد وصلاحهم، وفي جمالها ونظافتها زينة الحياة والمتاع الحلال.

فرض عليها الإسلام من الواجبات ما لا يتقبل النفس الكريمة، ولا يهبط الطبيعة المعتدلة وسوس بينها وبين الزوج في أمور الدين، فهي مطالبة بسلامة العقيدة، وطهارة الذيل، وأداء الفرائض، وأبدلها خيرا من السعي والعمل خارج البيت، مملكة هي أساس كل ملك، ودعامة كل مجتمع "وأن المرأة التي هز مهد الطفل بيمينها، لتهد العالم بيسارها"، وكفل لها من الحقوق ما خلصها من العبودية، وانتشلها من الجور، فهي إنسان حر كريم، لا يهضم له حق ولا تهدر له كرامة، وإن ما حققه الإسلام للمرأة ليزري بهذه الأباطيل التي يتشدد بها أولئك الفسقة الذين يدسون لها السم في العسل، ويلبسون الحق بالباطل.

وإن هذه النداءات المغرصة الصادرة عن وحوش هم أعداء المرأة في الحقيقة، أمها أصوات تدعو المرأة للعمل واحتمال تبعات الحياة في الخارج، فتفقد بذلك الحياء والخجل وهما رأس مالها، وتعرض عفتها وكرامتها للاهتيار، فالرجل الذي يدعو لذلك عدو للمرأة حليف للشيطان، والمرأة التي تصدق ذلك وتعمل له، هي عدوة لنفسها ومنساقاة وراء الشهوات.

فكرامة المرأة في صيانتها، وعزتها في خدرها، ومكانها اللائق بما والذي خلقت من أجله هو البيت، ومهمتها الحقيقية التي هيأها الله لها هي تربية الأبناء وتكوين الرجال وما أعظمها مهمة لو فطنت لها المرأة: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله). ومن طاعة الله ورسوله أن تفهم المرأة مهمتها، وتقوم بما خير قيام كما يريد الله ورسوله.

الأبناء:

وفي البيت أبناء، هم ثمرة الحياة، ومعقل الآمال، كفل لهم الإسلام عطف الوالدين في أنبل الصور، وأقوى الحالات، وأمر الأم أن تحسن الحضانة، وتكمل الرعاية، وأمر الوالد أن يحسن التربية، وكفالة السعادة.

دخل رجل على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوجد أبناءه يركبون ظهره ويلعبون معه، فقال يا أمير المؤمنين: أنت سيد الناس ويهابك الملوك، فكيف بك وأنت في هذه الحال، وإن لي عشرة من الأبناء إذا دخلت البيت جلس قائمهم ووقف قاعدتهم، وسكت متكلمهم، وكان الخليفة قد ولاه عملا، فقال له رضي الله عنه: إنك غير رحيم بأبنائك، فكيف ترحم المسلمين؟! وجرده من عمله.

هذا هو الإسلام يجعل الأبوة رحمة وعطفا على الأبناء، ويجعل السعي عليهم من خير أنواع الجهاد. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه فأشاروا إلى شاب قوي جلد فقالوا: حبذا لو كان هذا الجلد القوي في سبيل الله؟ فأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه: إن كان خرج يسعى على ضيعفه فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يقيهها السؤال فهو في سبيل الله.

وقد فرض الإسلام على الأبناء أن يكونوا برة طائعين لأبائهم وأمهاتهم (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واحفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا).

من فقه الدعوة

بين المنحة والحنة

الإمام الشهيد حسن البنا

(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)

وهل تتضح الموهبة، ويصفو الجوهر إلا بين المنحة والحنة، وتلك سنة الله تبارك وتعالى في تنشئة الأفراد وتربية الأمم وسلوك أصحاب الدعوات، ممن اصطنع لنفسه من عباده وصنع على عينه من خلقه ليكونوا أئمة يهدون بأمره (ونبلوكم بالشر والخير فتنة).

والأمة الإسلامية اليوم بين منحة وحنة، إن فهمت عن الله فيهما، وأدت ما وجب عليها من حقهما، وشكرت النعمة، وثبتت وصبرت على الشدة، وواصلت السير في قوة إلى الغاية، وهي واصلة بإذن الله تبارك وتعالى إلى ما تريد، مهما اعترضها من صعاب وواجهها

من عقبات، ونصر الله قريب (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)، وصدق الرسول القائل: (عجبت لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته النعماء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته الضراء صبر فكان خيرا له).

والإخوان المسلمون اليوم وهم الأمة الجديدة القائمة على الحق، المهتدية بنور الله، الداعية إلى صراطه المستقيم، بين منحة ومحنة، عليهم أن يشكروا الله أجزل الشكر على ما أولاهم من نعمته وأغدق عليهم من فضله ومنته، وأن يصبروا أكمل الصبر على المحنة مهما علا ضحيجها، وأرعد برقها وعظم هولها وأجلبت بخيلها ورجلها، وليثقوا بموعود الله تبارك وتعالى لسلفه الصالحين من قبل: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا، إن الله بما يعملون محيط).

يا أيها الإخوان المسلمون في الحرم المكي وأمام الكعبة المشرفة تجلس بعثتكم المتواضعة خاشعة لله، محبته تدوب حياء من رب البيت وتنطوي على نفسها خشية لجلاله وعظمته والأبصار ترنو إليها من كل مكان، والأيدي تدل عليها بكل بنان، ووفود الحجيج من كل قطر وبلد ومصر، تقبل عليهم بقلوب متواذرة متحاببة تسأل في لهفة وشوق: أنتم الإخوان المسلمون؟ مرحبا بكم وما أشوقنا إلى لقاءكم، ونحن إخوانكم في إندونيسيا أو في جاوة وسيلان أو الهند وباكستان أو في جنوب إفريقيا أو في مدغشقر وبورنيون أو في نيجيريا والكاميرون أو في إيران والأفغانستان، أو في غير ذلك من أراضى الله الواسعة التي امتدت إليها أضواء الإسلام الحنيف وانبسط فيها هدي كتابه الشريف المنيف، وتكون تحية وسلام وتفاهم وكلام وتدارس لحال أبناء الإسلام.

وإعجابا بجهودكم المتواضعة، وأعمالكم النافعة لا نرى أنفسنا له أهلا ولا نعتبرها إلا منة من الله وفضلا (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

ويعود إخوانكم من البعثات العلمية أو الرحلات التجارية في إنجلترا أو أمريكا أو فرنسا أو غيرها من بلاد الغرب المتهالكة على المادة، المتهافتة على الطغيان، فإذا بهم قد أنشأتم الرحلة نشأة أخرى وسمعوا ورأوا من حديث الناس عنكم، واهتمامهم بشأنكم، والتعليق على جهادكم وجهودكم بما يجعلهم يستشعرون التقصير في حق الدعوة، ويعتزمون بذل الجهد وفوق الجهد في العمل لها والجهاد في سبيلها، ولقد سمعت أحدهم بالأمس القريب يخاطبني في حماسة ويحادثني في قوة وحزم، فيقول: يا أخي والله إننا لسنا مجهولون إلا في وطننا، ولا مغموظين إلا في أرضنا، فإذا أراد الناس أن يعرفونا بل إذا أردنا نحن أن نعرف أنفسنا ومدى تأثير دعوتنا، فعلينا أن نرحل خلال هذه الأقطار، ونجوس خلال تلك الأمصار، ونستمع إلى أهل تلك الديار في مجالسهم الخاصة ومجامعهم الجامعة وسنرى من ذلك العجب العجاب والقول اللازب فأقول له: لا بأس عليك! فقدمنا قيل: وزامر الحي لا يحظى بإطراب، وليس نبي بدون كرامة إلا في وطنه وبين عشيرته، وسيدرك قومنا بعد قليل من نحن؟ وماذا سنصنع والعاقبة للمتقين (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

وفي هذة العمرة من نعم الله عليكم بحسن الأحدوثة وجميل الذكر وجيليل التقدير، تواجهمم محنة القول الزائف فتبلغ قلوب المؤمنين الحناجر، ويظن الكثيرين من المتربصين بالله الظنوننا، وتقول طائفة كما قال أسلافها من قبل: (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا)، وتقول طائفة أخرى (ما وعدنا الله ورسولا إلا غرورا). وأنتم خلال ذلك تسيرون في ركاب نبيكم صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه، وتهمتون بدعائهم: (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما).

يا أيها الإخوان المسلمون سنتكشف الغمة، وتزول المحنة إن شاء الله وتخرجون في البلاء خروج السبق من الجلاء، أنقياء أتقياء والله تبارك وتعالى يريكم بالمنحة والمحنة (سنة الله التي قد حلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) .. (فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون).

والله أكبر والله الحمد.

نفوس ومبادئ ومشروعات

قال صاحبي: لقد راقبت هذه الدعوى الإخوانية عن كثب وتتبع خطواتها في كثير من الأحيان واتصلت ببعض تشكيلاتها وجلست إلى كثير من القائمين بها، فأعجبتني ما رأيت ولكن أخذت على ذلك كله بعض المآخذ، أحب أن أصارحك بها وأكشف لك عنها راجيا أن تحمل قولي هذا على النصح، وأن تعتقد أن الدافع إليه الغيرة على هذه الحركة المباركة ليس غير.

قلت جزاك الله خيرا وأحسن إليك: هات ما عندك فإن الدين النصيحة، وحسب الإنسان من الخطأ أن يعتقد أنه لا يخطئ وكفى به إيما أن يوجه بالحق فيضيق به وينحرف عنه. وهل العصمة إلا لني، وقد حتم الله النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وإذا كنا نزع أن قد بلغنا حد الكمال اليوم، فأين موضوع تجارب الغد من الكمال الفردي والاجتماعي هات يا أخي ما عندك مشكورا فالله يعلم أن نقد الناقدين بإخلاص أعذب في أسمعنا من ثناء المادحين بحق أو بباطل، ونحن حين ننقد إما أن نتجنب بالنقد خطأ أو نزداد صوابا ولكننا حين نمدح لا نجني من هذه المدحة إلا تراخيا أو غرورا وكلاهما مهلك ونعوذ بالله منهما، وما أحق المادحين بأن يحنى في وجوههم التراب.

قال: الحمد لله الذي سلك بكم هذا النهج ولو لم يكن إلا هذا الاستعداد لكان فضيلة يصغر أمامها كثير من الخطأ على أنها فضيلة إن دامت فستصل بأصحابها إلى الكمال ولا شك. على أي والحمد لله لا أجد في ناحية النقد، ما أقصد بتجربا ولكن تصحيحا والله المستعان. لقد لاحظت في الإخوان بطنا في الخطوات وترينا في المناهج وانصرافا عن الحياة العامة وتمسكا شديدا بناحية من العبادات والمظاهر الدينية يبرزهم أمام أعين الجماهير في صورة الناسكين من المتصوفة الذين نبذوا شئون الحياة وراءهم ظهريا فإن يصاحب ذلك كله بعدا عن التيارات التي تمز العالم كله الآن هزا وعزوف عن الشئون السياسية التي تتحكم الآن في مصائر ومقدرات الشعوب. والإخوان كجماعة لها أثرها القوي في توجيه الرأي العام الآن من واجبها أن تعنى بهذه النواحي أشد العناية وأن يكون لها فيه رأي تحمل عليه الناس. ألسنت معي في هذه الملاحظات البريئة.

قلت يا أخي شكر الله لك: قد يكون ما لاحظت صحيحا في مظهره وإن لم يكن كذلك في تفسيره، ما أظن هذا المظهر الناسك الذي يبدو فيه الأخ المسلم إلا الحياء الذي هو شعبة من الإيمان في زمن قل فيه حياء الناس وضعفت في قرارات أنفسهم شعب الإيمان، وإن الوقار الجدد هو الذي يفرضه الإسلام في أمة طال بما العبث وأفسد حياتها اللهو.

وأما هذا العزوف عن الشئون السياسية، فأؤكد لك يا أخي أن الإخوان المسلمين تفيض نفوسهم وطنية وحماسة لهذا الوطن الخاص مصر ولهذا الوطن العربي كله ولهذا الوطن الإسلامي العام، إنهم جميعا شديدا الاهتمام بحقوق هذه الأوطان ومطالبها القومية وآمالها وأمانها، وهم لا يدعون فرصة تمر بهم حتى يوضحوا رأيهم للمسئولين ويتقدموا إليهم بالنصح في وضوح وجلاء، ولكنهم مع هذا يعلمون تمام العلم كيف تكون هذه النصائح البريئة فضلا عن الظهور السافر سلاحا قاطعا تحارب به الفكر الصالحة وتلمس له المخارج والتأويلات بحق وبغير حق. فالإخوان في هذه الناحية يقتصرون على ما تحتمه الضرورة وتستوجب الظروف وتفرضه فريضة عينية لا مفر ولا محيد عنها ثم اسمع يا أخي: ألسنت معي بربك في أن مجتمعتنا المصري والعربي والإسلامي في حاجة إلى بناء جديد وترميم جديد؟ وهل يكفيننا أن تبني هذه المجتمعات على الأساليب السياسية مع ما فيها عندنا من قصور؟

أنا يا أخي أعتقد أن مجتمعاتنا في حاجة إلى تدعيم وتقويم وزعيم بل إلى بناء جديد على قواعد جديدة وعلى نفوس قوية فاضلة يكون أظهر صفاتها، الصبر والاحتمال والتكرم والحنان والصرافة والإباء والصدق في القول والعمل، نفوس لا تنافق ولا تجامل ولا تقرب من التبعات وتحب الخير للجميع وتصبر على الجهاد في سبيله.

وما أحوجنا كذلك إلى مناهج ومبادئ وتوجيهات واضحة صالحة شاملة تشبع هذه الرغبات الشائعة في نفوس الغيورين والطامحين إلى المجد وإلى الخير وإلى العلاء.

وأخيرا نحن في حاجة إلى مشروعات علمية نربح فيها المال ونتقي بها العطل وتندرب بها على الأعمال ونكتسب الخبرة الحقيقية التي لا بد منها في هذه الحياة. نحن في حاجة إلى مشروعات زراعية وصناعية وتجارية وما أوسع أبوابها وأكثر سبلها في أرضنا لو اتجهنا هذا الاتجاه ولم نؤثر الراحة والدعة ونرضى صرف الوقت في الكلام.

يا أخي لوددت أن يغلق أمام الإخوان كل باب إلا هذه الأبواب الثلاثة: أن يعكفوا على أنفسهم فيروضوها بطاعة الله وتقواه على الصبر والإيثار والصدق والإباء وعلى مناهجهم فيدرسوا من أحكامه وتعاليمه ما ينير أمامهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم. ثم نتوجه بعد ذلك جميعا إلى المشروعات والأعمال (وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

وتلك الثلاثة يا صاحبي هي قواعد البناء.

قال: لكم الله.
فقلت وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الإمام الشهيد بأقلام مرشدينا

الإمام الملهم

بقلم الأستاذ حسن الهضيبي

عرفته أول ما عرفته من غرس يده. كنت أدخل القرى والمدن فأجد إعلانات عن الإخوان المسلمين دعوة الحق والقوة والحرية، فخلت انما إحدى الجمعيات التي تعنى بتحفيظ القرآن والإحسان إلى الفقراء ودفن الموتى والحث على العبادات من صوم وصلاة .. وأن هذه قصاراها من معرفة الحق والقوة والحرية .. فلم أحفل بها.

فكثير هم الذين يقرأون القرآن دون أن يفقهوه ودون أن يعملوا به وأكثر منهم الذين يصلون ويصومون ويحجون دون أن يكون لذلك أثر في نفوسهم، والإحسان إلى الفقراء كثيرا ما يوضع في غير موضعه .. ولم أحاول كما هي العادة أن أعرف شيئا عن الإخوان المسلمين.

ثم التقيت يوما بفتية من الريف أقبلوا علي على غير عادة الأحداث مع من هم أكبر منهم سنا ومركزا يجذونني، فوجدت عجبا فتية من الريف، لا يكاد الواحد منهم يتجاوز في معارفه القراءة والكتابة، يجلسون جلوسهم مع من هم أكبر منهم في أدب لا تكلف فيه .. ولا يجسسون بأن أحد أعلى من أحد، يتكلمون في المسألة المصرية في أحسن ما يتكلم فيها شاب متعلم مثقف، ويتكلمون في المسائل الدينية كلام الفاهم المتحرر من رق التقاليد.

ويستطون الكلام في ذلك إلى مسائل مما يحسبه الناس من صرف المسائل الدنيوية ويعرفون من تاريخ الرسول وتاريخه هو تاريخ الرسالة ما لا يعرفه طلاب الجامعات .. فعجبت لشأنهم وسألتهم أين تعلمتم كل ذلك؟ فأخبروني أنهم من الإخوان المسلمين .. وأن دعوتهم تشمل كل شيء .. وتعنى بالتربية والأخلاق والسياسة والفقر والغنى والاقتصاد وإصلاح الأسرة وغير ذلك من الشؤون صغيرها وجليها. من ذلك الوقت تتبعت حركة الإخوان المسلمين وصرت أقرأ مطبوعاتهم واتصل بهم دون أن أعرف الداعية إلى ذلك. ولكنني عرفته من غرس يده ... قبل أن أعرف شخصيته.

كان يوم خرجت أنا وبعض زملائي لمشية العصر على حافة النيل فوجدنا جمعا من الجوالاة، سألناهم عن شأنهم فعلمنا أن حسن البنا سيلقي خطبة في حفل الليلة فوافينا الحفل وسمعنا حسن البنا.

لقد تعلقت أبصارنا به ولم نجد لأنفسنا فكاكا من ذلك وخلصت والله أن هالة من نور أو مغناطيسا بوجهه الكريم تزيد الانجذاب إليه. خطب ساعة وأربعين دقيقة كان شعورنا فيها شعور الخوف من أن يفرغ من كلامه وتنقضي هذه المتعة التي أمتعنا بها ذلك الوقت. كان كلامه يخرج من القلب إلى القلب شأن المتكلم إذا أخلص النية لله ... وما أذكر أي سمعت خطيبا قبله إلا تمنيت على الله أن ينتهي خطابه في أقرب وقت. كان كالجداول الرقاق الهادئ ينساب فيه الماء. لا علو ولا انخفاض، يخاطب الشعور فيلهبه والقلب فيملؤه إيمانا .. والعقل فيسكب فيه من المعلومات ألوانا.

وانقضى وقت طويل دون أن التقى به .. ولما أذن الله بذلك التقينا، فإذا تواضع جم وأدب لا تكلف فيه وعلم غزير وذكاء فريد وعقل واسع ملم بالشؤون جليلها وحقيرها، وآمال عراض .. كل ذلك يحفه روح ديني عاقل لا تعصب فيه ولا استهتار ... (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .. إنه كان ملهما، وأقسم أبي التقيت به وعاشرته فما سمعت منه كلمة فيها مغمز في عرض أحد أو دين أحد، حتى من أولئك الذين تناولوه بالإيذاء والتجريح في ذمته ودينه وكان في ذلك ملتزما إلى حد ما أمره الله.

هذا هو حسن البنا الذي قتلوه ... لقد قتلوا أخطر داعية ظهر على الأرض منذ قرون، والآن فإن الغرس الذي عرفت فيه حسن البنا قد نما وترعرع وصارت دعوته إلى كتاب الله مستقرة في القلوب ... وصار تلاميذه يعلمون الناس ما علم، ويلهمونهم ما ألهم، وزاد عددهم

على البأساء والضراء حتى أصبحوا أقوى جلدا مما كانوا، وأعلم بأن أعداء دعوتهم أكثر من أنصارهم فأعدوا أنفسهم لكفاح طويل في سبيلها.

ولقد صار "الإخوان المسلمون" إسمًا لا يعبر عن منظمة في مصر وإنما يعتبر عنواناً لهيئة الإسلام وبعثه وحيويته في جميع البلاد الإسلامية من المحيط إلى المحيط .. فإسم الإخوان في إندونيسيا والباكستان وكل البلاد العربية. وصارت دعوتهم رعباً للمستعمرين وأنصار المستعمرين والمنافقين والظالمين، لأن الباطل يفزع من الحق أينما كان وحيثما وجد.

إمام أنقذ أمة

الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله

إن حسن البناء شخصية لمعت بذاتها. ولا تزال تضيء بآثارها في تاريخ الدعوة الإسلامية. ولا يمكن لإنسان أن يمضي بها إلى مجاهل النسيان، وكيف ينسى من اقترن اسمه بأكبر أثر في الدعوة الإسلامية في القرون الأخيرة؟ لا نقولها حبا وإن كان الحب عاطفة نبيلة، ولا تقديرا، وإن كان تقدير الرجال سمة المنصفين، ولا تعصبا، وإن كان التفاني في الدعوة السامية شرفا أي شرف، ولا تقديسا .. إذ لا تقديس مع "لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ولكننا نقولها من قبل تقرير الواقع .. شهد بها الكل على السواء ، لأن الشمس الساطعة لا ينكر وجودها إلا من ران العمى على عينيه. إنه عجز العمى، وهذا العجز لا دخل للشمس فيه.

وعظمة رجال التاريخ أن يثور حولهم الجدل العاصف. هذا يجب فيغالي وهذا يكره فيتجنى، وهذا يجب فينصف وهذا يكره فيظلم، وآخر يعادي فحاول أن يكون موضوعيا في عدائه بعيدا عن أسنة المهاترات. ويظل الرجل الكبير في التاريخ حيث هو مكانه في التاريخ، والقائد الفذ هو الذي تنهوى الألوفا في ميادين تخطيطه وقيادته، يدبر ويفكر ولا يزيده استعارة المارك إلا بروزا في ميادين العبقرية والنبوغ.

ولو أن حسن البناء لم يكتب له أو عليه، لما كان هو حسن البناء، وعلى قدر العطاء يكون الأثر، العطاء الزاخر له الأثر الطاهر، والعطاء النذر لا يحس ولا يشعر به أحد، هكذا كان حسن البناء صاحب عطاء طوال حياته. أعطى الدعوة كل شيء ولم يدخر من هذا الجهد شيئا لنفسه، أعطى الناس كل الدريهمات التي كان يحصل عليها كمرتب حكومي ولم يبق لنفسه ولا لأهله شيئا، وجزى الله "آل الصولي بالإسماعيلية" خيرا، إذ كفوه مؤنة هذا الإنفاق الضئيل. أعطى الناس كل حياته. فاستشهد في سبيل دعوته وهو لم يتجاوز الأربعين من عمره المغدق بعامين، ملاً طباق الأرض نغما شجيا بدعوة الإخوان المسلمين، وأصبحت المدرسة التي يتلمذ فيها كل راغب للعمل في سبيل الله.

إنني لا أكتب لنفسني لأنه ما غاب عني، وكيف يغيب عني من جمعني بالله حياتي كلها؟ كيف ينسى المسلم من أسدى إليه أنصع يد في حياته، يوم أن دله على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

لقد أفضى الإمام الشهيد إلى ما قدم من خير، ولا نركي على الله أحد، بعد أن ملاً طباق الأرض بدعوة الإخوان المسلمين. وما أسعدنا وأسعد حكام المسلمين يوم أن يتبنوا هذه الدعوة، التي تجعل قوائم حكمهم أرسخ من الشم الرواسي، وما ذلك على الله بعزيز.

استشهاد الإمام حسن البنا

تعتقل وزارة النقراشي كل المعروفين من الإخوان عام 1949م وكنت من بين المعتقلين، فلما قتل النقراشي، بدأت وزارة إبراهيم عبد الهادي تدبر مؤامرة لاغتيال الإمام الشهيد لا انتقاما لمقتل النقراشي ولكنه طمأنة لفاروق، حيث إن فاروق شعر أن دعوة الإخوان المسلمين لا تستهدفه، ولا أنكر أن "مصر الفتاة" لعبت دورا في المجال نفسه، ولو طال وجود فاروق لقتل "أحمد حسين" كذلك.

وقد حدث أن اتصل أحد الوزراء بالإمام الشهيد في 12 فبراير 1949م، ليلقاه في مبنى جمعية الشبان المسلمين، وهو يقع في أزحم شوارع القاهرة، وظل الإمام ينتظر هناك ومعه زوج شقيقته الأستاذ عبد الكريم منصور، ولما غابت الشمس ولم يف الوزير المنتظر بوعده، خرج الإمام والأستاذ عبد الكريم منصور واستوقفا سيارة "ناكسي"، وما أن استقر فيه حتى أطفأت أنوار الشارع، وأقبل اثنان أو ثلاثة من المخبرين وأطلقا سيلا من الرصاص على الأستاذ ومرافقه، ورغم أن إصابة الإمام كانت قاتلة إلا أنه تحامل على نفسه وعاد إلى جمعية الشبان

المسلمين واستدعى الإسعاف بنفسه، ونقلتهما سيارة الإسعاف إلى قصر العيني، وكانت الأوامر قد صدرت بعدم إسعاف الإمام، وتركوا جراحه تنزف، وقبل أن يلفظ النفس الأخير جاء فاروق إلى القصر العيني شامتا ومتشفيا وبصق على الإمام ففتح عينيه وقال لفاروق: مزق الله ملكك. وكانت أبواب السماء مفتحة فاستجاب الله الدعاء وتمزق ملك فاروق إلى الأبد.

وهكذا فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وقد أقسم بعزته وجلاله لينصرن المظلوم ولو بعد حين. ومع هذا الوعيد الرباني، فلا يزال الظالمون في كل مراحل التاريخ لا يتعظون أو يروعون.

ما من شك أن في هذا حكمة علوية، لا تدركها عقولنا القاصرة، وكل ما نستطيع أن نقوله في حدود هذه العقول المخلوقة لا الخالقة، أن النهار لا يعرف إلا بزوال الليل، وأن الحق لا يتجلى إلا عند انتشار الباطل، وأن العدل لا يعرف إلا إذا كان هناك ظلم، وأن الحرية لا تعشق إلا إذا ساد فخر أو استبداد.

بقلم الأستاذ عمر التلمساني

من أقوال الإمام الشهيد

(الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة).

(لا تظهر العداوة لمن أخفاها عنا).

(إن الحق تبارك وتعالى لا يمنح النعم بمجموعة، وإنما يوزعها على قدر يرتضيه حتى لا تغرق النعم صاحبها، ولا ينقطع رجاء المرء في

ربه).

(إني لا أخشى عليكم أن تجتمع الدنيا على عداوتكم، ولكني أخشى أن تختلفوا على أنفسكم).

(يقول الناس: ما أنتم أيها الإخوان المسلمون؟ إننا لم نفهمكم بعد.. فافهمونا أنفسكم وضعوا لأنفسكم عنوانا نعرفكم به، كما

تعرف الهيئات بالعناوين!! هل أنتم طريقة صوفية؟ أم جمعية خيرية؟ أم مؤسسة إجتماعية؟ أم حزب سياسي؟ كونوا واحدا من هذه الأسماء والمسميات لنعرفكم بأسمائكم وصدقتكم..

فقولوا لهؤلاء المسائلين: نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة.. طريقة صوفية نقية لإصلاح النفوس، وتطهير الأرواح وجمع القلوب على الله العلي الكبير، وجمعية خيرية نافعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتواسي الكروب وتر بالسائل والمحروم، وتصلح بين المتخاصمين.. ومؤسسة اجتماعية قائمة تحارب الجهل والفقر والمرض والرذيلة في آية صورة من الصور.. وحزب سياسي نظيف يجمع الكلمة ويرأ من الغرض، ويحدد الغاية، ويحسن القيادة والتوجيه.

وقد يقولون بعد هذا كله: لا زلتم غامضين..!

فأجيبوهم: لأنه ليس في يديكم مفتاح النور الذي تبصروننا به.

نحن الإسلام أيها الناس، فمن فهمه على وجهه الصحيح فقد عرفنا كما يعرف نفسه، فافهموا الإسلام.. أو قولوا عنا بعد ذلك ما

تريدون..!)

خاتمة

أيها الإخوان جميعا، وأنتم يا من في العالم كله، لو أنني مع كل نفس يتردد في صدري، ولو أنني مع كل نبضة من نبضات قلبي، الذي أضنته الشيخوخة وكر السنين، ولو أنني مع كل طرفة عين من عينين ضعفت فيهما قوة الإبصار، لو أنني مع كل رشفة ماء رويت بها ظمأي، لو أنني مع كل حركة اضطرب بها في طول الحياة وعرضها، لو أنني مع كل هذا، قلت كلمة شكر وثناء على أستاذي وسيدي، إمامي ومرشدي حسن البناء، لفني العمر ولم أبلغ منه بعض ما أريده، وما كتبت ما كتبت إلا كهامس في سماع نائم.

لقد سبق القول إنني لم أرجع فيما كتبت إلى مراجع ولا رسائل، وكانت ذاكرتي عمدي، لم تمدني بكفايتي، ولكني رضيت بالقليل منها ليكون ما سطرت مجرد ذكريات تحمل من صدق العاطفة، أكثر مما تستوعبه العقول.

ولو طال الأجل، وحسن العمل، فلعلني مقدم على ذكريات مع فضيلة المرشد السابق الأستاذ الهضيبي، في لقاء قريب أو بعيد، والعلم عند الله. فقد قاد الجماعة في أحلك اللحظات فكان في إيمانه، نور الهدى والرشاد، وتكسرت على شيطان عقيدته الراسخة الصامدة كل موجات العنف والقهر، وأنواء التعذيب والإعنات، وهكذا جعل الله في المرشدين السابقين أعظم مثلين ساميين عاقلين، استمدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، خير أسوة، وأكرم قدوة في هذا الطريق، فتحلينا رجلين بين عيال عصرهما، وجبلين بين تلال، وأجرى الله سبحانه وتعالى من إيمانهما القوي الثجاج، أفضل ما أمكن أن يصلح به حال الإخوان المسلمين وحال المسلمين جميعا وعلى الله قصد السبيل.

لما رأيت الجحود والنكران، أصبح تخطيطا مرسوما بدقة، للإطاحة بذكرى حسن البنا إلى وديان النسيان، ولما رأيت الذين يقال عنهم أنهم كتاب وأدباء يكتبون عن كل تافه مغرور، ويتقارضون الشناء والمديح. هذا يكتب ثناء على ذلك، فيرد ذلك على هذا ببناء مثله، ولما رأيت الدولة نفسها تساهم في مخطط النكران، بالإحتفاء بمن يساوي ومن لا يساوي، وكلهم لا يساؤون شيئا في موازين الإسلام، إذا وضعوا أمام أستاذ الجيل حرصت لا على تخليد ذكرى الرجل، فهو خالد في صحف لا تفضل ولا تحابي ولا تنسى، ولكني أردت فقط أن أقول للمنكرين وللمحاولين طمس أنوار ذلك المجد الذي لن يجبو ضياؤه، إن محاولاتكم فاشلة، وإن حسنا البنا هو أستاذ الجيل سواء أقررتم أو أنكرتم .. حسن البنا أخلد على الزمن بفضل الله .. أستاذكم جميعا. أدى للإسلام والمسلمين ما لم يؤده أحد منذ مئات السنين. والله أكبر والله الحمد.

المرشد الراحل عمر التلمساني

المصادر

- حسن البنا .. مواقف في الدعوة والتربية (الأستاذ عباس السيسي رحمه الله).
- الملهم الموهوب .. أستاذ الجيل حسن البنا (الأستاذ المرشد عمر التلمساني رحمه الله).
- حسن البنا إمام وقائد (الأستاذ محمد شلي).
- أعداد متفرقة من مجلة الدعوة المهاجرة.